الإمَامُ النّورسِيّ وَظُهُورُ القَومِيَّات بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالتَّحَدِّي: دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ

ليث سعُود جاسِم ✸

أَهَمِّيَّةُ البَحْث:

تتجلى أهمية البحث في أنه يتناول بداية نقلة فكرية خطيرة في التاريخ الإسلامي قامت باسم التجديد، نقلة أعقبتها تغييرات خطيرة في بنية المجتمع الإسلامي فكرياً وسياسيّاً واجتماعيّاً وجغرافيّاً، وهذه التغييرات هي:

أولاً: تغيير في النظام السياسي من نظام الخلافة الإسلامية والدولة الواحدة إلى الدولة العلمانية والتفتيت الجغرافي السياسي (الجيوبوليتيكي).

ثانياً: تغيير في الإطار الفكري من العالمية الإسلامية إلى الدول الإقليمية والقومية العرقية.

ثالثاً: تغيير في النظام الاجتماعي من النظام الاجتماعي الإسلامي إلى تغييرات في الأخلاق والسلوك على نطاق الفرد والمجتمع متخذة النموذج الغربي مثالاً.

ويسعى هذا البحث لإبراز دور الإمام النورسي في هذه المتغيرات المفصلية والذي استحق عليه لقب المجدد، فضلاً عن بيان منهجه في التعامل مع الواقع الذي أخذ صوراً عدة، وبحسب المتغيرات ثم بيان موقفه من قضيّة التجديد وفهمه لها الذي يتمثّل في:

- إدراك العوامل والتحديات التي تواجه الأمة.
- محاولة وضع الحلول لمواجهة كل مرحلة وأطلق عليها مرحلة سعيد القديم وسعيد الجديد التي بدأت سنة ١٩٢٦.

✸ دكتوراه في التاريخ من جامعة السِنْد ١٩٩٢، باكستان؛ أستاذ مشارك في قسم الدراسات القرآنية والحديثية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

ووضع لها إطاراً في فلسفة التغيير الذي يشمل:

- أهمية التنمية الفكرية الإسلامية في مواجهة التسلل العلماني من خلال العمل المؤسسي ببناء جامعة الزهراء، والعمل على إنشاء المدارس التي توازي متطلبات العصر.

- وعي المفردات الفكرية الغربية وفحصها واختيار ما يناسب منها وترك ما لا يناسب.

- تبني فكرة الجامعة الإسلامية من خلال الاتحاد المحمدي لتحقيق الترابط الإسلامي بين قوميات المجتمع.

- خطاب الأمة بخطاب موحدٍ موجه إلى قومياتها المتنوعة ليواجه تحدي التفتيت للدولة الواحدة.

- بناء الشخصية الإسلامية بمنهجية تتناسب ومتطلبات التحدي الغربي من خلال البناء العلمي والسلوكي.

وقد استخدم البحث المنهج التاريخي القائم على دراسة الوثائق وتحليلها والمنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة من خلال مسارها التاريخي وملابساتها. وقد حاول البحث أن يعتمد على المصادر الأصلية وبخاصة كتابات الأستاذ النورسي في رسائله والتي جمعت مؤخراً في أعمال كاملة، مثل: المكتوبات، والشعاعات، والكلمات، والصيقل، والملاحق، وإشارات الإعجاز، وسيرته الذاتية وغير ذلك. وما كتب عنه من مؤلفات وبخاصة ما كتبه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم أعمال الإمام النورسي إلى العربية والذي قام بجهد مشكور في خدمة تراث الإمام النورسي، وكذلك الأستاذ أورخان محمد علي الباحث و الصحفي في كتابه (سعيد النورسي رجل القدر)، وما نشره الدكتور عثمان علي – الأستاذ في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية ماليزيا سابقا – من وثائق إنجليزية مهمة فيما يتعلق بالأكراد وعلاقتهم بالدولة العثمانية، فضلاً عن العديد من الكتب التي رصدت نشأة القوميات بعامة مثل كتاب (اليقظة العربية) لجورج أنطونيوس، و(تركيا الفتاة) لرامزور، وغيرها من المؤلفات مما سنجده مبثوثاً في هوامش البحث.

ولعل البحث بهذا الجهد المتواضع قد ألقى شعاعاً من الضوء على ظهور القوميات ونشأتها والدوافع وراء ذلك وأثرها في تفتيت الدولة العثمانية ونشوء العلمانية في المجتمع الإسلامي.

ومن ثمّ الكشف عن دور الأستاذ الإمام سعيد النورسي في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الأمة الإسلامية. وما كان له من دور إحيائي مع غيره من المصلحين والمجددين في تلك الفترة الخطيرة من تاريخ الأمة.

وهذه المرحلة يكتنفها الغموض إلى الآن لقلة الوثائق وبخاصة عصر السلطان عبد الحميد الذي لم يسمح بالاطلاع على وثائقه الخاصة إلى الآن.

مدخل

لقد عاصر الإمام النورسي مرحلة أفول الدولة العثمانية وشيخوختها حيث لاقت ما لاقت من أعدائها الخارجيين من مؤامرات متنوعة لأجل ابتلاعها وتقسيمها، وبخاصة من العدو الروسي من الشرق، والعدو الأوروبي من الغرب، وقد عزز ذلك الدعوة التي أطلقها البابا (بيوس الثاني) إلى تحالف أوروبي ضد الدولة العثمانية، واتفقت هذه الدول على الرغم من الخلافات التي بينها على إعلان الحرب المقدسة[1] وبخاصة عندما وجدت أن السلطان عبد الحميد يناور على خلافاتها ويهيئ الأمة لفكرة الجامعة الإسلامية، وقد زاد الضغط الأوروبي بشكل منظم، وبرز المصطلح السياسي الجديد (المسألة الشرقية) لتقسيم الدولة العثمانية بين روسيا والدول الأوروبية[2].

وتوالت الأحلاف والهجمات الأوروبية في جميع الجهات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية للقضاء عليها؛ وقد عبر عن هذا الهدف وزير الخارجية البريطاني بلفور[3] بقوله: "لا

---

١ باول شمتز، **الإسلام قوة الغد العالمية**، ترجمة د. محمد شامه (مصر: نشر مكتبة وهبة ،ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ١٠٦، وانظر: د. يوسف على الثقفي، **موقف أوروبا من الدولة العثمانية** (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ٥١ - ٥٣، وانظر: على حسون، **العثمانيون والروس**، نشر المكتب الإسلامي (بيروت: الطبعة الأولى، ١٩٨٢م) ٢٩ - ٣٠، وانظر: محمود الشاذلي، **المسألة الشرقية- دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية** (مصر: نشر مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ١٣١ - ١٣٢، وانظر: Andrew C. Hess، **اختراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس**: ٥٢ - ٥٣.

٢ انظر: **الموسوعة الثقافية**، إشراف الدكتور حسين سعيد (القاهرة ـ نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ٦١٤، وانظر: محمد محمود الروجي، **مصر والمسألة الشرقية** (الإسكندرية، مصر: ١٩٦٦م) ١٣١ - ١٣٨.

٣ ارثر جيمس بلفور (١٨٤٨م - ١٩٣٠م) سياسي بريطاني شغل مناصب متعددة منها وزير الخزانة البريطاني، ورئيس الوزراء، ووزير البحرية والخارجية في الحرب العالمية الأولى، وهو صاحب التصريح المشؤوم في إعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: الموسوعة الثقافية: ٢٢٧.

شك أن القضاء على الدولة العثمانية قضاءً تاماً هومن أهدافنا التي نريد تحقيقها"٤.

وقد ألف أحد وزراء رومانيا (Djuvara) كتاباً بعنوان: (Cent Projets Pour la Partage de la Turquie) مائة مشروع في تقسيم تركيا، وقال فيه "إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوروبيون للأتراك ويميلون أبداً من أجلها إلى حصرهم في آسيا هي راجعة إلى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والإسلام ... وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة كما تقدم وصف كل برنامج بعينة مما يناهز مائة مشروع"٥.

وعلى ضوء ذلك تغلغل الأوروبيون عن طريق الامتيازات الأجنبية التي صارت ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية باسم حماية الأقليات غير المسلمة أي اليهود والنصارى، وإدارة شؤونهم قانونياً، وتجارياً، ودينياً، وسياسياً ٦، واستتبعها إثارة القوميات والأقليات وبخاصة الأرمن، ورافق هذا كله نشاط في دوائر عدة مثل نشر المدارس التبشيرية لتكون طريقاً للتغريب من خلال طلابها وخريجيها الذين أصبحوا قادة بعد ذلك٧، ويسند ذلك حركة إعلامية مكثفة عن طريق الصحافة بخاصة، والتي كان أغلبها تحت إدارة نصرانية أو يهودية، فضلاً من المتأثرين بأوروبا والسائرين في ركابها من شتى الشعوب الإسلامية مثل الترك والعرب والألبان، والكرد وغيرهم، وقد أحصى (الفيكونت فيليب دي طرازي) ذلك في كتابه الهام (تاريخ الصحافة العربية) حيث بلغ عدد الصحف العربية التي ضمها كتابه (٣٢٥٠) صحيفة من سنة (١٨٥٨م - ١٩٢٩م) في جميع أنحاء العالم وقد رتب لها فهارس وافية ألحقها بكتابه٨.

---

٤ انظر: أنور الجندي، **العروبة والإسلام** (القاهرة: نشر دار الاعتصام، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٦م) ٤٣٠. نقلاً عن خطاب بلفور رئيس البعثة البريطانية إلى الولايات المتحدة في ١٩١٧/٤/١٨م. وانظر: باول شمتز، مصدر سابق: ٣٢.

٥ انظر: Lothrop Stoddard، **حاضر العالم الإسلامي**، نقله للعربية الأستاذ عجاج نويهض مع تعليقات أمير البيان شكيب أرسلان (بيروت: نشر دار الفكر، ط٣، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ٢٨١/٣، ٣٢٣.

٦ انظر: محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العلماني** (بيروت: مكتبة صادر، ١٣١٤هـ - ١٩٢٥م) ٢٩٢، وانظر: مصطفى طوران، **أسرار الانقلاب العثماني**، ترجمة كمال خوجة (نشر دار الإسلام، د. مكان، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) ١٢ - ١٤، وانظر: صموئيل اتينجر (محرراً) ، **اليهود في البلدان الإسلامية**، ترجمة الدكتور جمال الرفاعي مراجعة دكتور رشاد الشامي (الكويت: سلسلة عالم المعرفة ١٩٧، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م) ١٠-١٢، ٤٧ - ٤٨.

٧ انظر: نديم هزار، **المدارس التنصيرية** (استنابول: نشر مركز البلقان للدراسات والأبحاث العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ١٥ - ٣٥. وانظر: جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، ترجمة د. ناصر الدين الأسد، د. إحسان عباس، (نيويورك - بيروت: نشر مؤسسة فرانكلين، ١٩٩٢م) ١٦٤ - ١٦٦.

٨ انظر: الفيكونت فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية** (بيروت: المطبعة الأدبية، الأجزاء: ١ - ٣، ١٩١٣). ونشر المطبعة الأمريكانية ببيروت، الجزء الرابع (١٩١٤م)، وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ): ٤ /هـ، و٤٩٦، ٥١. وقد ساعد الفيكونت فيليب دي طرازي في عمله الضخم هذا كونه أميناً لداري الكتب والآثار في بيروت، وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وقضى أربعين سنة من عمره في تأليفه (١٨٩٣ - ١٩٣٣م).

وكان هناك عامل آخر ساعد على ضعف الدولة العثمانية ألا وهو التجاوزات الإدارية لبعض الولاة ووقوع بعض المظالم التي أعطت الفرصة لدعاة الشعارات البراقة في تهيئة الرأي العام لقبول التغيير باسم الحرية والمساواة والإخاء، والخلافة العربية لا الخلافة الأعجمية ..!!!

وكان كل ذلك مقدمة لظهور القومية والعلمانية وبخاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولي جمعية الاتحاد والترقي السلطة تحت ستار الخلفاء الضعاف الذين لم يكونوا يملكون أي قرار ..!! أتبعتها سياسة التتريك التي مارستها جمعية الاتحاد والترقي القومية والتي ألصقت ذلك بالخلافة ظلماً، فأعقبت ذلك ردود أفعال قومية لدى القوميات الأخرى وبخاصة العرب ثم الأكراد والأقليات الأخرى، ووظف ذلك كله ضد الخلافة وعلا نجم القومية.

معنى القومية:

والقومية لغة [٩]: مشتقة من القوم، والقوم عشيرة الرجل وجماعته. **واصطلاحاً** [١٠] تعني: "الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين: عنصر موضوعي: ويتمثل في الروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة كالاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة. وعنصر معنوي أو شعوري: يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة" [١١].

وقد ظهرت هذه الفكرة في أوروبا ولاقت منها ما لاقت من صراع القوميات فشاعت روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه بعض، وقد كان لليهود والماسونية دور رئيس في ذلك لهدم الطابع المسيحي الغربي؛ ثم إنها أرادت نقل المعركة للعالم الإسلامي ولا سيما وأن الدولة العثمانية كان رعاياها من قوميات مختلفة كالعرب والترك والأرمن والألبان والأكراد وغيرهم [١٢]، حتى أصبحت فكرة الدولة القوميّة كلمة سحريّة، وشعاراً للكفاح.

ثم نبذت أوروبا القومية وبدأت تجمع شملها في تكتلات سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وفي الوقت نفسه امتدت الحركة القومية خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين إلى

---

٩ انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (مصر: نشر دار المعارف) ٣٧٨٦

١٠ انظر: مجدي عبد المجيد الصافوري، **سقوط الدولة العثمانية و أثرة على الدعوة الاسلامية** (مصر: دار الصحوة للنشر، ط١، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م) ٢١٠، ٢١١، ٢١٤.

١١ الموسوعة الثقافية، مصدر سابق: ٧٧٦.

١٢ انظر: مجدي عبد المجيد الصافوري، مرجع سابق: ٢١٠، ٢١١، ٢١٤.

آسيا وإفريقيا، وظهرت أشهر الحركات القومية في الدولة العثمانية مثل: القومية العربية، والقومية الطورانية التركية، وقد قامت هاتان الحركتان بأخطر دور تغييري في تاريخ الدولة العثمانية في النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وأما القومية الكردية فجاء تأثيرها متأخراً عن القوميتين الأخيرتين ١٣.

ومن الوسائل التي استخدمها الأوروبيون لتفتيت الدولة العثمانيّة إثارة النعرات القومية واستثارة الأفكار الجاهلية كما وصفها النبي ﷺ بقوله ١٤: «دعوها فإنها منتنة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: العصبية الجاهلية».

ونتيجة لهذا فقد استطاع الاستعمار ضرب وحدة المسلمين وتمزيق كيان دولتهم العثمانية عن طريق الأحزاب القومية، فتكونت في الشرق الإسلامي دويلات لكل منها كيان منفصل وحدود سياسية مرسومة وانتقل الولاء لله وشريعته إلى الولاء للأرض والقوم، وهلل الأوروبيون لذلك حتى قال قائلهم (إمري ريفر) في كتابه (قضية الإسلام) ١٥: "إن الوحدة التي احتفظ القرآن بها قروناً بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول قد ذهبت وصار الشعب الإسلامي قوميات شتى".

واستخدموا الصحافة ونشر الكتب وسيلة لترويج الشعور القومي من ذلك إحياء الكتب التاريخيّة التي تعظم تاريخ الأجداد من عرب وترك وهنود وفرس وأكراد وغيرهم١٦.

ومن تلك الكتب التي بدأت بترويج الفكر القومي بأنواعه:

- كتاب (تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة إلى سنة ١٤٠٥م): ألفه الكاتب اليهودي (ليون كاهون) ذكر فيه مآثر جنكيز خان وتيمورلنك وساعدت الأكاديمية الفرنسية على نشره عام (١٨٩٦م)، وجعل هذا الكتاب أساساً للقومية الطورانية١٧.

---

١٣ نفس المرجع: ٢١٣، وانظر الموسوعة الثقافية: ٧٧٦.

١٤ انظر: جورج أنطوينوس: يقظة العرب: ١٦٤ – ١٦٨، وانظر مجدي عبد المجيد الصافوري، سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية،: ٢١٤ – ٢١٦.

١٥ أنور الجندي، **معالم تاريخ الإسلام المعاصر** (مصر: دار الإصلاح للطبع و النشر، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ٢٣٥-٢٣٧.

١٦ مثل مجلة (الاستقلال العربي) في فرنسا لنجيب عازوري الماروني اللبناني الذي دعا إلى إحلال رابطة الجنسية بدل الدين، وانظر: **الموسوعة الصحفية العربية** (تونس: نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة،١٤٢٠هـ – ١٩٩٧م) الجزء السادس، المجلد الأول: ٤٣٣. وصحيفة (مشورة) باللغة التركية لمؤسسها أحمد رضا وهو من قادة الاتحاد والترقي وكانت تدعو للطورانية، وغيرها من الصحف التي أحصاها صاحب تاريخ الصحافة العربية فيليب طرازي ٢/٢٧٠-٢٧٤.

١٧ انظر مجدي عبد المجيد الصافوري، المصدر السابق: ٢١٨ – ٢١٩. وانظر: أنور الجندي، معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، : ٢٧٤.

- كتاب (يقظة الأمة العربية) لجورج أنطونيس: صدر في باريس عام (١٩٠٥م) باللغة الفرنسية ثم ترجم للعربية، طالب فيه باستقلال الوطن العربي، وإعادة الخلافة إلى شخص عربي قريشي بدلاً من الأتراك العثمانيين، ومؤلف الكتاب كان منتمياً إلى المحفل الماسوني الإيطالي ويدعو إلى أن تكون الخلافة في قريش استدراجاً للعرب، للتلبيس عليهم ودفعهم للتمرد على الدولة العثمانية ...!!! ١٨.

وسنعرض في المباحث القادمة للحديث عن ظهور القوميات وبخاصة القوميات الثلاث المؤثرة بعضها في بعض وهي القومية التركية والعربية والكردية وسنفصّل الكلام فيها. ومن ثَم نبين موقف الأستاذ بديع الزمان النورسي في نصحه وإرشاده لأتباع هذه القوميات، وبيان الرؤية الإسلامية النابعة من تصور واعٍ واضح ينطلق من المصدرية الشرعية الكتاب والسنة إضافة إلى العلوم المساعدة الأخرى واستخدامه الوسائل المتنوعة لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة، ويرطب هذا المنهج المعرفي نسمات الروح التي تفجر كنوز الحقيقة في قلب العَالِم العارف فتتناغم في سياق منهجي لتقدم حلاً للمشكلة بحسب الرؤية المتحصلة زماناً ومكَاناً، وكما سنرى ذلك في البحث، واللّه الموفق.

دعوى القومية الطورانيّة وأثرها على الدولة العثمانيّة

جذورها:

لقد كان السلطان عبد الحميد موفقاً عندما بدأ مشروعه الإحيائي (الجامعة الإسلاميّة) لمواجهة التحدي الأوروبي والذي جعل الدعوة إلى الطورانيّة هو المشروع البديل والكفيل باستقطاب الأتراك وتفتيت الدولة العثمانيّة ١٩.

وفكرة الطورانيّة كانت تطلق على مجموعة اللغات الهندوأوروبية، وبخاصة لغات أواسط آسيا٢٠، ويرى بعض المؤرخين في هذه الفكرة محاولة غربية لضرب الدولة العثمانيّة بإحياء

---

١٨ انظر: د. أحمد فهد الشوابكة، **الجامعة الإسلامية** (الأردن ـــ عمان: مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٤م-١٤٠٤هـ) ١٥١-١٥٢، وانظر: مجموعة مؤلفين **أعلام الصحافة في الوطن العربي** (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٧٧م، المجلد الأول ٦/ ٤٣٤، وانظر: مجدي عبد المجيد الصافوري، المرجع السابق: ٢٢٥.

١٩ انظر:

Nikkie R. Keddie, *An Islamic Response to Imperialism*, University of California Press, Berkeley, Los Angeles & London, 1983, p. 22, 25, 55-58.

وانظر:

Hee Soo Lee, *Islam Ve Turk Kulturunun*, Uzak Doguya Yaylimasi, 1988, p.185-187.

وانظر: الما ولتن، عبد الحميد، **ظل اللّه في الأرض**، ترجمة راشد رشيدي (القاهرة: ١٩٥٠): ١٧٦ – ١٧٨.

٢٠ انظر الموسوعة الثقافية: ٦٤٣.

القوميات المحليّة والإقليميّة الضيقة وأما إطار الطورانية الفكري فهو تجديد انتساب الشعب التركي إلى أصوله الطورانيّة، والإيمان بأن سبيل بعث الشعب التركي هو اتحاده بهذه الشعوب التي تمت إليه بصلة القربى، وأن حركة الطورانية هي المنقذ للأتراك من الضياع، وأن يسيروا على هدى جنكيز خان، وتيمورلنك من أجدادهم العظام ٢١، وقد بدأ بعض الكتاب يصدرون الكتب والمنشورات أمثال (أحمد اغاييف) التتاري عام (١٣١٢-١٧٨٩م) متأثرين في كتاباتهم بالثورة الفرنسية، وانتشرت هذه الفكرة حول حوض نهر (الفولغا) أولاً وإلى تركمان أواسط آسيا ووصلت إلى استانبول بعد ذلك وتبناها حزب "الاتحاديون" وأصبحت شعارهم.

وكان كثير من دعاة القومية الطورانية من غير الأتراك مثل اليهودي الهنغاري (قمري) يدعون الأتراك إلى توثيق الصلة بأتراك وسط آسيا، لأن الأتراك قد ابتعدوا عن أصولهم مدة طويلة. ثم ابتكر نظرية خطيرة تقول: "إن الإسلام يتناقض مع فكرة الجنس وأنه هو الذي حال دون نشوء حضارة الأتراك" ٢٢.

وتم تشكيل الجمعيات القومية في أماكن متعددة داخل الدولة العثمانية وخارجها وشمل تشكيل الجمعيات القطاعين المدني والعسكري وكان الطلبة هم طليعة هذه الجمعيات٢٣.

وكانت محصلة هذه الجمعيات (جمعية الاتحاد والترقي) والتي كانت ٢٤ تضم في صفوفها المدنيين والعسكريين وجعلت ميدان عملها في سلانيك ولذلك "فإن المحافل الماسونية في تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع بطريقة سرية طبعاً، وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بفكرة خلع السلطان عبد الحميد ... ولذلك استخدمت جمعية (الاتحاد والترقي) بعض المحافل أو جميعها لتكون محلات للاجتماع" ٢٥.

---

٢١ انظر: مجدي الصافوري المرجع السابق : ٢١٥، ٢١٧، وانظر: موفق نبي المرجه: **صحوة الرجل المريض** (بيروت: دار البيارق، ط٨، ١٩٩٦) ص ٢٠٠.

٢٢ انظر شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي: ١٠٨ – ١١٩، د. أحمد النعيمي ، **اليهود في الدولة العثمانية** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٨٨م) ١٦٢-١٦٣ .

٢٣ انظر: M. Sukru Hani Oglu, Osmanli Ittihad, p. 16-26.

٢٤ انظر:

Osmanli Ittihad ve Terkki *Cemiyeti ve Jon Turkluk*, (1889-1902), Iletisim Yayinlari, Istanbul- 1985, p. 9-16.

وانظر د. محمد حرب عبد الحميد، **السلطان عبد الحميد** (نشر دار الفكر نقلاً عن مذكرات إبراهيم تيمو ــ أحد مؤسسي تركيا الفتاة) ٢٧٨ – ٢٨١، وانظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد (الكويت: دار الوثائق، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ٢٧٠ – ٢٧٥.

٢٥ أرنست، أ. رامزور، **تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م**، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠م) ١٢٣، ١٢٤.

هذه التسهيلات التي قدمتها الماسونية في سلانيك وأوروبا لجمعية الاتحاد والترقي كان لها غاية استراتيجيّة وهي تمزيق الدولة العثمانيّة من خلال قطع الروابط الإسلامية بين شعوب هذه الدولة ولذلك روجت فكرة الطورانيّة ـــ كما ذكرنا سابقاً ـــ بادعاء أن الجنس المغولي واحد في الأصل ويلزم الشعوب الطورانيّة أن تعود لأصلها وتمجد قوميتها التركية وكان شعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية ٢٦، ومع ذلك كله فقد كان السلطان يرصد أعمالهم بدقة وعندما حكمت عليهم المحكمة العسكريّة بالسجن قام السلطان عبد الحميد بالعفو عنهم، بل وسمح للطلبة منهم بالعودة إلى إكمال دراستهم، ومع ذلك فإن المصادر العلمانية كانت تتهم السلطان برمي طلاب كلية الطب في بحر مرمرة...!! افتراءً عليه٢٧، ثم تكرر الأمر وعفا عنهم مما جعل رامزور يتحير ويصعب عليه فهم سياسة عبد الحميد في نفي كاظم باشا بدلاً من إعدامه.

ويقول رامزور "وأما كاظم باشا فقد طرد مهاناً وعين حاكمًا على شقورده في ألبانيا وهو عقاب خفيف لضابط انكشفت محاولته لخلع سلطانه..!!؟" ٢٨ بل وعينه السلطان بعد ذلك مديراً لمشروع خط الحجاز وهو مشروع سياسي عسكري مع العلم أن كاظم باشا هذا كان مكلفاً بتنفيذ الانقلاب العسكري...! ٢٩

ولكن أتباع جمعية الاتحاد والترقي لم يتوقف نشاطهم، بل إن تسامح السلطان في معاملتهم أطمعهم في استغلال هذه الصفة فيه واستمرت صحفهم تهاجم السلطان وتنادي بشعارات الإصلاح والحرية والإخاء والمساواة لتدغدغ المشاعر ولتؤلب على السلطان، "لذا فقد فقست بيوض الأفاعي تحت جناحي رحمته وكبرت ونمت وانتشرت في كل حجر ثم خرجت إلى الميادين والساحات" ٣٠، كما وصف ذلك نجيب إيزيل كيساكوراك Necip Eazil Kisakurak.

---

٢٦ انظر شكيب أرسلان (تعليقات)، حاضر العالم الإسلامي: ١٨٩/١ وما بعدها، وانظر: د. جميل المصري، **حاضر العالم الإسلامي** (الأردن: دار أم القرى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) ١٢١.

٢٧ انظر: رامزور، تركيا الفتاة: ٦٤، ٦٥، ٦٦، وانظر تعليقات أورخان محمد علي على ذلك السلطان عبد الحميد الثاني: ٢٧٢ وما بعدها.

٢٨ رامزور، نفس المصدر: ٦٣ – ٦٤، وانظر أورخان محمد علي: المرجع السابق: ٢٧٧.

٢٩ انظر المصدر السابق: ٦٤، ١٧٦، وانظر أورخان محمد علي، المرجع السابق: ٢٧٦.

٣٠ انظر أورخان محمد علي: ٢٧٣ نقلاً عن Ulu Hakan Abdul Hamid Han.

ثم هرب بعض قادة الاتحاد والترقي إلى الخارج وبخاصة باريس التي احتضنتهم منذ بداية تشكيل تركيا الفتاه، ومن باريس أصدروا جريدة (مشورة) و(الميزان) التي استمرت تهاجم السلطان فضلاً عن الرسائل، وكانت الدول الأجنبية تساعدهم في توزيع جرائدهم وإدخالها إلى الدولة العثمانية ٣١.

وقد قام المحفل الماسوني بمساعدتهم وبخاصة (المشرق الأعظم الفرنسي) الذي قرر إزاحة السلطان عبد الحميد ... "ويمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية كلها تقريباً من عمل مؤامرات يهودية! ماسونية" ٣٢ ويقول سيتون واطسون في كتابه The Rise of Nationality in the Balkan٣٣: "وأن أعضاء تركيا الفتاة ... والثورة التي أنجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهي سلانيك .. إن العقول الحقيقية للحركة كانت عقولاً يهودية أو يهودية مسلمة وقد جاءت مساعداتها المالية من أغنياء الدونمة أو يهود سلانيك ومن الرأسماليين العالميين (الماسونيين) في فينا وبودابست وبرلين وربما لندن وباريس أيضاً".

وقد كان الإطار الفكري لجمعية الاتحاد والترقي هو الماسونية وهي لا تعترف بالأديان وتنطلق من الفلسفة الوضعية والعلمانية ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد وثاروا عليه باسم الدين" ٣٤.

الثورة والخلع والإلغاء:

ونتيجة للظروف التي مرت بها الدولة العثمانية وما تعانيه من مشاكل داخلية، وخارجية، وسياسية، واقتصادية، وجد الأعداء فرصتهم السانحة فقرر (محفل الشرق الأعظم) في عام ١٩٠٠م بالتعاون مع الدول الأوروبية خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وأدرك السلطان عبد الحميد المؤامرة واستمر يناور ويداور لإفشال هذا المخطط بأقل الخسائر، وبمحاولة احتواء (جمعية الاتحاد والترقي) اليد التي أريد لها أن تخلع السلطان.

---

٣١ انظر: رامزور، نقلاً عن Paul Fesch: ٦٣، ١٧٢، وانظر أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص٢٧٨ نقلاً عن مذكرات إبراهيم تيمو، وانظر: محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد، ٢٧٦، ٢٧٩.

٣٢ رامزور المصدر السابق : ١٢٦، وانظر لويس شيخو: **السر المصون في شيعة الفرمسون** (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٣٣٧هـ — ١٩١٠م) الكراس السادس: ٣١ — ٤٢.

٣٣ انظر أورخان محمد علي: المصدر السابق: ٢٨٥ — ٢٨٦.

٣٤ انظر محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد، نقلاً عن M. Sukru: ٢٨٣، وانظر رامزور: ١١٩، ١٢٣، ١٢٦. وانظر الوثيقة المتبادلة بين السفير البريطاني في استانبول (جيرالد لارثر) في ١٩١٠/٣/٢٩م وبين وزير خارجية بريطانيا (شارل هاروينغ) وقد نشر هذه الرسالة وقدَّم لها (Elie Kidaurie) أستاذ علم السياسة بجامعة لندن في كتابه الصادر بلندن سنة ١٩٧٤م، ورقم الرسالة في الوثائق الخارجية البريطانية (F.O.800/193A) ترجم الوثيقة الدكتور محمد توفيق حسين إلى العربية ونشرت في مجلة آفاق عربية ببغداد، العدد ٩، لشهر ٣، تحت عنوان "دور الماسونية في خلع السلطان عبد الحميد"، انظر: أورخان محمد علي، المرجع السابق: ٢٩٣ — ٣١٢.

وكانت إحدى محاولات للسلطان لدرء المخطط التدميري موافقته على الدستور وإحياء البرلمان وذلك في ١٩٠٨/٧/٢٤م ورضخ لمطالب الاتحاد والترقي مع أنه كان قادراً على قمع هذه الثورة وكانت قواته المسلحة مستعدة لذلك ومع ذلك استسلم للقدر و لم يرتض أن تُراق قطرة دم حفاظاً على دولة الخلافة ٣٥.

وقد اضطر الاتحاديون "أن يعلنوا بأن مقصدهم هو تحرير الدولة العثمانية من الاستبداد وإقامة حكومة دستورية تجمع المسلمين في بوتقة واحدة" ٣٦.

وانخدعت الأمة بل وكثير من علمائها ومثقفيها وشعرائها في الداخل والخارج وعاشوا الوهم الذي شاركت في تصويره حقيقة صحف ورجالات وعمائم ثم ذاقت بعد ذلك وبال أمرها ولات حين مندم.

واستمرت جمعية الاتحاد والترقي تحكم الدولة العثمانية باسم السلطان، وترتكب الحماقات السياسية والعسكرية والاجتماعية والأخلاقية وختمت ذلك باجتماع لمجلس الأعيان والمبعوثين وقرروا خلع السلطان في ١٩٠٩/٤/٢٧م واستصدروا فتوى مشبوهة من شيخ الإسلام وانتخبت لجنة من يهودي، وأرمني، وغجري، وألباني وقد حز في نفس السلطان أن يرى اليهودي (قره صو) معهم وأبدى استياءه من ذلك٣٧.

---

٣٥ انظر: رامزور المصدر السابق : ١٢٦، وانظر: د. أحمد النعيمي: اليهود والدولة العثمانية: ٢١١، ٢١٢ نقلاً عن Kidourie Elie, Young Turkes, Free Masons and Jew: p.94، وانظر: مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، : ٥٧ – ٦٥، وانظر باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية: ١٠٤ – ١٠٧، وانظر: شيخ الإسلام مصطفى صبري، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية**، تحقيق ودراسة د. مصطفى حلمي (الإسكندرية: دار الدعوة، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ١٠٠، وانظر: عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، ١٩٨٢م) ١٨٠٣/١ – ١٨٠٦، وانظر: Alma Wiltin, Abdul Hamid The Shadow of God, p. 115، وانظر: الأميرة عائشة عثمان أوغلو، **والدي عبد الحميد**، نقله للعربية صالح سعداوي (عمان: دار البشر، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ٢٣٠–٢٣٥.

٣٦ مجموعة من المؤلفين، العلاقات العربية التركية: ٥٣٦ – ٥٣٧، وانظر: د. محمد حرب عبد الحميد: مرجع سابق: ١٩٤ – ١٩٥.

٣٧ انظر: مصطفى طوران، مرجع سابق، ٩٧ – ٩٨، وانظر: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العليّة العثمانية**، تحقيق إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ٩٠–٩٢، ، وانظر: د. محمد حرب عبد الحميد، **مذكرات السلطان عبد الحميد** (دمشق: دار القلم، ط٣، ١٩٩١ م) ٢٠٦ – ٢٠٨، وانظر: أحمد النعيمي، اليهود والدولة العثمانية: ٢١٤.

ثم نقل وأسرته وبعض حاشيته إلى سلانيك منبع الفتن تجاه دولة الخلافة زيادة في إيذاء السلطان نفسيّا. وبقى على ذلك حتى نقل إلى استانبول وكانت وفاته فيها سنة ١٩١٨م، ورفض مفارقتها وبوفاته ختمت الخلافة حقيقة لأن كل من خلفوا السلطان عبد الحميد من السلاطين كانوا رموزاً فقط والهيمنة الحقيقية لجمعية الاتحاد والترقي الحاكم الفعلي للدولة العثمانية ٣٨.

وفي ١٩٢٧/١٠/٢٠م أعلنت الجمهورية العلمانية وألغيت اللغة العربية وأغلقت المدارس الدينية وغير الأذان إلى التركية ومنعت النساء من ارتداء الحجاب، وأمر الرجال بلبس الملابس الأوروبية بدلاً من الملابس العثمانية وطردت أسرة آل عثمان في ١٩٢٤/٣/٢م حيث ألغيت الخلافة من قبل مصطفى أتاتورك.

وبدأت رحلة العلمانية التي كشرت عن أنيابها بحملة عملية التتريك، والضغط على الأكراد والعرب القوميين..!! حلفائهم بالأمس وبدأ الاستبداد الحقيقي الذي انتظره دعاة القومية من دعاة الإصلاح فكان الإصلاح هو الانسلاخ عن الإسلام ليس إلا..!! وبدأت رحلة عذاب سكان البلاد في ظل دولة الإصلاح والحرية والثورة الأتاتوركيّة.

القومية العربيّة نشوؤها وتطورها

العرب مادة الإسلام، وقد محض العرب ولاءهم من أول يوم لله تعالى وللإسلام لا للجنس، ولا القبيلة، ولا الأسرة ٣٩. تنـــزَّل القرآن مخاطباً عم النبي ﷺ بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ... ﴾٤٠، ونفّر القرآن من التعصب للأسرة والقبيلة والوطن والمال. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾٤١.

---

٣٨ انظر: الدكتور محمد حرب عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد، نقلاً عن فتحي أوقيار، **رجل في ثلاثة عهود** (استانبول، ط١، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م) ٢٠٧ — ٢٠٩، وانظر تفاصيل ذلك عن الأميرة عائشة في كتابها: والدي عبد الحميد: ٢٤٤ — ٢٨٦، ٣٤٦ — ٣٥١، وانظر: أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد حياته و أحداث عصره** (الكويت: دار الوثائق، ط١، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦م) ٣٤٦ — ٣٥٢.

٣٩ انظر محمد ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية : ٧٥.

٤٠ سورة المسد، الآية رقم ١.

٤١ سورة التوبة، الآية ٢٤.

وحذّر رسول الله من يتنادى بالعصبية الجاهلية بقوله: « من دعا بدعوى الجاهلية فإنه أهون عند اللّه ... » ثم جعل القرآن التقوى هي الميزان والمعيار للولاء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾٤٢. وكلما شحبت المعاني الإسلامية في التقوى كلما دهمت الأفكار الباطلة والبدع المرفوضة والأخلاق المرذولة.

وعندما دبّ الضعف في الدولة العثمانيّة في أواخر القرن التاسع عشر وشاعت الأفكار غير الإسلامية، ونشطت الدعوة إلى القومية بتأثير التآمر الغربي الذي رأى في القومية سلاحاً فعالاً في زلزلة الدولة العثمانية.

نشأة القوميّة العربيّة:

والمقصود بالقومية العربية هنا هي "الحركة السياسية التي تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة لهم على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا" ٤٣.

وبدأت قصة القومية العربية في بلاد الشام سنة (١٨٤٧م) بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية ٤٤.

وقد بدأ الترويج للفكرة القومية متزامناً مع دور محمد علي باشا (١٨٣٢-١٨٤٨م) الألباني في تشجيع أهل الشام على الثورة على الدولة العثمانية وبدأت في تمجيد العرب ورفْع أبنائهم في اختصاصهم بالوظائف للتشجيع على الثورة ضد الدولة العثمانية .

وقد حشدت الدول الأوروبية ومعها اليهود وسائل متعددة لإحداث التغيير الفكري في بيئة شعوب الدولة العثمانية؛ ومن ثم تفتيت الدولة العثمانية ليسهل بعد ذلك اقتسام تركتها وقيادة العالم. فلم تجد أفضل من إثارة الشعور القومي لكل شعب وبث الكراهية بين شعوب الدولة العثمانية وعليه يبدأ العمل على انفصال تلك الشعوب عن جسم الدولة العثمانية إلى دويلات متفرقة ضعيفة يسهل التعامل معها وبخاصة إذا كانت قيادتها تدور في فلك المخطط المرسوم الذي ناهز مائة محاولة .

---

٤٢ سورة الحجرات، الآية ١٣.

٤٣ انظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ٤٠١، والموسوعة الثقافية: ٧٧٦.

٤٤ وميض جمال عمر نظمي، **ثورة العشرين** (بغداد: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٨٥م) ٧٥، وانظر: جورج أنطونيوس، **يقظة العرب، حركة العرب القومية**، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس (بيروت - نيويورك: دار العلم للملايين، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) ٩١.

"وهذه كانت في مدة ستة قرون مساعي المسيحيين ومحاولاتهم لمحو السلطنة العثمانية التي كانت من أعظم الممالك التي عرفها تاريخ البشرية، وإن لم يكن قد تنفذ برنامج واحد من هذه البرامج الكثيرة بحذافيره فما زال تكرار هذه المساعي، وتداول هذه الأفكار في كل أوروبا خلفاً عن سلف يعمل عمله تدريجياً وينقض من بناء السلطنة التركية التي انهارت جوانبها" ٤٥.

ومن الوسائل التي استعملوها:

أولاً: الترويج لاستقلال الوطن العربي عن دولة الخلافة العثمانية وإسناد الخلافة إلى شخص عربي قرشي..!! فالأئمة من قريش..!! وروج لذلك نجيب عازوري (ت١٩١٦م) النصراني من خلال كتابه (اليقظة العربية في آسيا الصغرى) حيث دعا لإحلال رابطة الجنسية والوطنية بدلاً من رابطة الدين. وقد أسس المحفل الماسوني الإيطالي بمصر٤٦.

وضرب على الوتر نفسه إبراهيم اليازجي وناصف اليازجي. من خلال صحفهم والمثقفون الذين نشروا كثيراً من الكتب التي تمجد العرب وتشيع أفكار الثورة الفرنسية لإعطاء إطار فكري للحركة الجديدة ٤٧.

ثانياً: المدارس التنصيرية: كان لها دور خطير وقد انتشرت في أرجاء الدولة العثمانية مستغلة السماحة المطلقة والمغالية ٤٨ باعتراف النصارى أنفسهم، حيث أسست أول مدرسة أوروبية تنصيرية في بيروت سنة (١٨٤٣م) من قبل الأمريكان البروتستانت وأسسوا المدرسة الأمريكية في استانبول وأُسست (روبورت كولج) سنة (١٨٦٣م) وكانت كلتا المدرستين محضناً لرجال القومية وقادتها في بلاد العرب والثانية تخرج منها قادة اللجان البلغارية الذين قادوا التمرد ضد الخلافة العثمانية. ثم كانت هاتان المدرستان محلاً لتفريخ كل الأحزاب القومية العلمانية في المناطق بعد ذلك٤٩.

---

٤٥ تعليقات شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي: ٣٢٤/٣.

٤٦ انظر: أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية: ١٠٨ – ١١٠، وانظر: مجدي الصافوري، مرجع سابق: ١٢١، ١٢٢.

٤٧ انظر: نزيه كباره ، **عبد الرحمن الكواكبي** (طرابلس ـــ لبنان: مطبعة جروس بروس، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ٢٤ـــ٢٥ ومن الشخصيات الأخرى جورج أنطونيوس (ت١٩٤٢) بطرس البستاني (ت١٨٨٣م) وكان مترجماً في السفارة الأمريكية مع ابنه سليم البستاني.

٤٨ انظر: تعليق شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي: ٢١١/٣ – ٢١٢.

٤٩ انظر: نديم هزار، **المدارس التنصيرية** (استنابول: مركز البلقان للدراسات والأبحاث العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) نقلاً عن د. بيرم كودامان، نظام التعليم في عهد عبد الحميد: ٦، ١٢، وانظر: جورج أنطونيوس، يقظة العرب: ٩٧ – ٩٩.

وكان أول محضن تأسس للقوميين جمعية بيروت السرية (١٨٧٥م) ومن أعضائها فارس نمر ٥٠، ثم تأسست جمعيات مختلفة اتخذت الواجهة الأدبية ستاراً لها، مثل الجمعية العلمية السورية (١٨٦٨م) ومن أعضائها: ميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران، وبطرس البستاني (١٨٣٥م) وهم خريجو المدرسة البروتستانتية، وانضم إليهم بعض المسلمين والروس وانضم إليهم المحفل الماسوني في الشام ٥١.

ومن الجمعيات الأخرى جمعية (جامعة الوطن العربي) مؤسسها نجيب عازوري – وخلال شهر العسل التركي العربي – أسست أول جمعية عربية باسم (الإخاء العربي العثماني) في سبتمبر سنة (١٩٠٨م) بالقسطنطينية وأسست كذلك جمعية (المنتدى الأدبي) سنة (١٩٠٩م) ٥٢، وبعد انتهاء شهر العسل مع القوميين الأتراك، كشَّر القوميون العلمانيون عن أنيابهم فأغلقوا (جمعية الإخاء العربي العثماني) وبدأت الدكتاتورية وهي الخطوة الثانية بعد إسقاط الخليفة لإحداث ردة فعل عربي قومي لتعجيل تفتيت الدولة وتمزيقها، فأسست جمعيتان سريتان هما (الجمعية القحطانية) في سنة (١٩٠٩م) وجمعية (العربية الفتاة) أسست عام (١٩١١م) في باريس من قِبَل الدارسين هناك وأنشئت في القاهرة سنة (١٩١٢م) جمعية (اللامركزية الإدارية العثمانية).

وهكذا بدأ الحصاد المرّ الذي لبس لبوس الإصلاح ضد الاستبداد وخرج باستبداد مبيت للإجهاز على آخر دولة خلافة إسلامية ٥٣.

ثالثاً: نشر المؤلفات والكتب المروجة للفكر القومي: فمنها ما يحمل الفكر الغربي وبخاصة أفكار الثورة الفرنسية، ومنها ما يتعلق بإحياء التاريخ العربي الجاهلي، وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً قومياً، مثل كتب نجيب عازوري وغيره، ومن أكثر الكتب تأثيراً كان كتاب (طبائع الاستبداد) للكواكبي الذي كان له الأثر الكبير في الترويج للفكر القومي الإسلامي، ومن ثم إلى الفكر القومي العلماني.

فالمبدأ الذي نادى به: أن الوطنية فوق أخلاق الأديان ويرى أن الوحدة الوطنية لا تتم إن جعلت المحاكمة للدين الإسلامي في مجتمع فيه أقليات غير مسلمة ... ولذا كان

---

٥٠ جورج أنطونيوس، نفس المصدر: ١٤٩، ١٥٢.

٥١ نفس المصدر: ١٢٠.

٥٢ انظر: جورج أنطونيوس: ١٧٢، ١٧٧، ١٨٣ – ١٩٠.

٥٣ نفس المصدر: ١٨٢، ١٨٣.

يقول: "دعونا نقدم حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الآخرة ..." وكان يقول: "التمييز بين الدين والدولة في عصرنا هذا أصبح من أعظم مقتضيات الزمان والمكان...". فضلاً عن مهاجمته للعثمانيين وإنكار فضلهم وكيل التهم لهم وجعلهم مسؤولين عن ضياع الأندلس٥٤..!!

ومحصلة هذا التخطيط يمكن تقسيم التيار القومي إلى:

أولاً: تيار يسعى أفراده لإقامة خلافة عربية مستقلة تقوم مقام الخلافة العلمانية ويمثل هذا الاتجاه الكواكبي، وشريف مكة، وطالب النقيب نقيب أشراف بغداد ٥٥.

ثانياً: تيار يطالب بالإصلاحات الخاصة بالبلاد العربية ولا يطالب بالانفصال عن الدولة.

ثالثاً: تيار يدعو للاشتراك مع أحرار الأتراك للمطالبة بإصلاحات عامه تشمل الولايات العثمانية وقد مثل هذا التيار بعض السياسيين مثل محمود شوكت (ت١٩١٣م) وعزيز علي المصري (ت١٩٥٩م) ٥٦.

ثم إن الأمور بعد ذلك ساءت بين الطورانيين والجمهوريين وبين والولايات العربية وفقدت تركيا كثيراً من ولاياتها ولم يتبق إلا تركيا بقسميها الأوروبي والآسيوي وقيدت بمعاهدات تنازلت فيها عن كثير من ولاياتها. فضلاً عن احتلال أجزاء من الدولة العثمانية من قِبَل الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين وبخاصة مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا. ووعدت حلفاءها الذين أعانوها ببعض الغنائم وبخاصة وعد الشريف

---

٥٤ انظر: نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي : ٢٤ – ٢٥، ٦٦، ١٢٥، والذي أثبت من خلال المقارنة أن كتاب (طبائع الاستبداد) مترجم عن كتاب بالعنوان نفسه للمستشرق الإيطالي ألفياري فيتوريا (Apfieri Vittoria) حيث تابعه الكواكبي في أغلب فصوله ، وانظر: جورج أنطونيوس: ١٢٠ – ١٢٦.

وانظر: وميض جمال عمر نظمي، **شيعة العراق وقضية القومية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ١٧٩ – ١٨٢، وانظر: جان داية، الإمام الكواكبي، **فصل الدين عن الدولة** (المملكة المتحدة: دار سوراقيا للنشر، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ٤٣، وانظر: الكواكبي، **أم القرى** (بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) ١٦٨ – ١٧١.وانظر: سامي الدهان ، عبد الرحمن الكواكبي:٣٦-٣٧ . وانظر: د.فهمي جدعان: **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م) ٢٩٢.

٥٥ انظر: نزيه كبارة ، مرجع سابق : ٨٧ ، وانظر: ساطع الحصري ، **محاضرات في نشوء القومية** (بيروت: دار العلم للملايين ، ط١، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م) ١٨٣ – ١٩٧.

٥٦ انظر: د. محمد حرب عبد الحميد، السلطان عبد الحميد: ٢٧٨، ٢٨٢ – ٢٨٣.

حسين بالخلافة العربية في سنة (١٩١٦م) الذي فجر الثورة ضد العثمانيين في ١٠/٦/ ١٩١٦م ولكن إنجلترا الحرباء كما يسميها السلطان عبد الحميد وفرنسا تآمرتا واقتسمتا العراق والشام ومصر بموجب معاهدة سايكس بيكو، وضاعت آمال القوميين فلا خلافة ولا حرية وإنما استعمار وحماية فرنسية بريطانية ٥٧ وثبت قول لورنس "الثورة العربية هي في الحقيقة تقطيع لأوصال الدولة العثمانية" ٥٨.

القومية الكردية نشأتها ومواقفها

من هم الأكراد؟

الأكراد شعب أصيل ذو شكيمة، وبعض المؤرخين يرون أن الأكراد من الجنس الهندوأوربي ويرى أكراد إيران بأنهم يرجعون إلى أصول آرية ٥٩.

وهم يتوزعون في المنطقة المحصورة بين إيران والعراق وتركيا وسوريا وروسيا وقد دخلوا الإسلام مبكراً في زمن سيدنا عمر بن الخطاب سنة (١٨هـ) على يد الصحابي الجليل عياض بن غنم ٦٠.

وأسهم هذا الشعب الكريم في بناء الحضارة الإسلامية بعد أن تشبع بروح الإسلام وغدا مسلماً عقيدة وجنسية فبرز منه وفيه القادة والعلماء والأدباء والإداريين ...٦١.

---

٥٧ انظر: محمود الشاذلي، المسألة الشرقية: ٢٧٤ – ٢٨٠، وانظر: مجدي الصافوري: ٢٢٧ – ٢٢٩.

٥٨ أمين سعيد، **الثورة العربية ومأساة الشريف حسين** (لبنان: دار الكاتب العربي، بدون تاريخ) ١٤٧.

٥٩ انظر: د. إبراهيم الداقوقي، **أكراد الدولة العثمانية وبروز القوميات ودور الأقليات**، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية حول الحياة الإدارية (تونس: مركز الدراسات والبحوث العثمانية المورسيكية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م) ١٩٨. وانظر: د. جمال رشيد أحمد ود. فوزي رشيد، **تاريخ الكرد القديم** (أربيل ـــ العراق: جامعة صلاح الدين، ط ١، ١٩٩٠م ١٤١١هـ) ٧ . وانظر: منذر الموصلي، **الحياة السياسية والحزبية في كوردستان** (العراق: شركة رياض الريس للكتب و النشر، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م) ٣٠ ، وانظر: Cavdet Ergul, Abdul Hamidin Dogu Politikasi Ve Hamidiye Alaylari: Izmir, 1997, p. 3-4، وانظر: سعد أبو مصطفى، "جعل الأمة الإسلامية بواقع الأكراد"، **مجلة آلاي إسلام**، السنة ٢، العدد ١. وانظر: د. شاكر خصباك، **الكرد والمسألة الكردية** (بغداد: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) ٢٢-٢٥ .

٦٠ انظر: د. إبراهيم الداقوقي، نفس المرجع السابق: ١٩٤ – ٢١١، انظر زبير بلال إسماعيل، **علماء ومدارس في أربيل** (الموصل، العراق: مطبعة الزهراء، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م): ٢١ وما بعدها، وانظر: د. عثمان علي، "الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٢، ٣، السنة التاسعة، ١٤٠٦هـ – ١٩٩٥م، ١٥.

٦١ انظر: زبير بلال، المرجع السابق : ٢٧ و ما بعدها ، ومن أشهر العلماء في القديم والحديث الإمام زين الدين العراقي المحدث، ابن الصلاح الشهرزوري، والشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق وغيرهم ومظفر كوكبفوري الأربلي، والخليفة صلاح الدين الأيوبي والشيخ بديع الزمان النورسي، وابن خلكان (ت١٢٨٣هـ) وغيرهم.

والأكراد قبائل غلب عليهم العمل في الزراعة وكان لشيخ القبيلة الهيمنة الإدارية وشاعت بينهم الطرق الصوفية، فظهر فيهم التدين الفطري لذلك كان ولاؤهم للدولة العثمانية ولاءً نابعاً من هذا التدين، بل كانوا جيشاً غير نظامي إلى آخر رمق في دولة الخلافة العثمانية ٦٢.

وقد كان للأكراد دور سياسي وعسكري بارز في عموم التاريخ الإسلامي فضلاً عن دورهم العلمي والثقافي، وقد تولى (عماد الدين زنكي) السلطنة وكذلك (صلاح الدين) فكانت الدولة الأيوبية لها بلاؤها الحسن في التاريخ الإسلامي وبخاصة في صد الهجمات الصليبية، حيث كانت نهاية الصليبية في الشام على يد صلاح الدين الأيوبي، وانساحت القبائل الكردية المسلمة في العالم الإسلامي مثل مصر والشام واليمن وغيرها واستقر كثير منهم في هذه المناطق، ولا زال الكثير من الذين أصولهم كردية يتلقبون (بالكردي) مع عدم معرفتهم باللغة الكردية ٦٣.

وقد عاش الأكراد في ظل دولة الخلافة العثمانية شريحة مهمة من شرائح المجتمع المسلم يتنقلون في بقاع الدولة المسلمة وقد قسمت كردستان إلى أقسام إدارية تسمى (بالسنجق) وثبت على كل سنجق أمير المنطقة الكردي أو تأتي بمن تراه مناسباً ٦٤.

وكان للأكراد دور مهم في خوض الحروب للدفاع عن دار الخلافة فاشتركوا في الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧م)، ولكن كانت لهم بعض الإشكالات مع الدولة العثمانية وبعض الاحتكاكات المسلحة وهي في حقيقتها لم تكن تمرداً ورفضاً للترك كما حاول بعض المستشرقين تشويه هذه الصورة، وإنما كانت رفضاً لبعض الإجراءات الإدارية

---

٦٢ د. أحمد النعيمي، **الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها و مستقبلها** (عمان الأردن: دار البشير، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ٧٨.

٦٣ انظر: د. سوادي عبد محمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة خلال القرن السادس الهجري** (بغداد ـــ العراق: دار الشؤون الثقافية، ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٨م) ٦٥ – ٦٨، ٨٧ وما بعدها. وانظر: منذر الموصلي، الحياة السياسية والحزبية في كردستان: ٦٠، وانظر: د. يوسف الصغير، **الأكراد في عالم الاضطهاد**، مجلة البيان، لندن، العدد ١٣٤: ٥١ – ٥٢، ولا زال لقب (الكردي) شائعاً في الأردن ومصر وأرتيريا واليمن.

٦٤ انظر: د. إبراهيم الداقوقي: مرجع سابق: ١٩٠ – ١٩١، وانظر: د. عثمان علي، "الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٢، ٣، ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥م، ماليزيا: ١٥، وانظر شرف خان بدليس، في تاريخ الدول والإمارات الكردية: ١٣٦ – ١٣٧، وانظر منذر الموصلي، نفس المصدر: ٢٣٩.

والمالية كفرض الضرائب وطلب التجنيد في الجيش، و لم يكن ذلك صراعاً قومياً ٦٥.

وعندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطة كان الأكراد لهم خصوصيتهم في طريقة الإدارة ولقد وقف الأكراد مع السلطان عبد الحميد في أحرج الأوقات و لم يشعروا بأن الدولة العثمانية دولة معادية في يوم من الأيام وقد شكل منهم كتائب عسكرية سميت بالكتائب الحميدية (Hamidiye Alaylari) وذلك لمواجهة الأرمن الذين كانوا يثيرون القلاقل للدولة العثمانية، وكانت تعتبر (قوات احتياطية) للجيش العثماني، ثم وضعت لها لائحة خاصة تنظم إدارتها وتحدد واجباتها. في مواد محددة عدد (٥٣) مادة وكان ذلك في سنة (١٣٠٨هـ - ١٨٩١م) ٦٦ وطورت في سنة (١٣١٣هـ - ١٨٩٦م) لائحياً وتشكيلاً لتكون لها القدرة في مواجهة القوات الأرمنية المدعومة من روسيا٦٧. وقد رد السلطان على الموظفين الكبار الذين اعترضوا على ارتباط السرايا الحميدية بالباب العالي بقوله "فما الذي يضيرنا إذا قرّبنا الأكراد منا وهم إخواننا في الدين" ٦٨.

الأكراد وظهور الفكر القومي:

وسارت الدول الأوروبية على الطريقة نفسها التي سارت بها في الأماكن الأخرى في طريقة زرع الفكر القومي، وتنميته لإثارة جميع القوميات ضد الدولة العثمانية، وذلك عن طريق إرسال الإرساليات التبشيرية وإنشاء المدارس التي تعمل لهذا الهدف والترويج للفكر

---

٦٥ انظر: منذر الموصلي، نفس المصدر: ٦٧ – ٦٨، وانظر: د. شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية، وانظر تفصيل ذلك في مقالة د. عثمان علي، على تشخيص الحقيقة، بصراع: آلاي إسلام، المرجع أعلاه، وما نسبه البعض إلى أن الشيخ عبيد الله النهري ثار ضد الدولة العثمانية فهذا خطأ تاريخي وتأويل قومي متكلف وقد كشفت رسالة القنصل البريطاني (وليم أز آبوت) في تبريز إيران بأن هذه التحركات كانت ضد الإيرانيين وقد قام الإيرانيون بمساعدة الإنجليز للقضاء على هذه الثورة ونفي الشيخ عبيد الله النهري إلى الحجاز. انظر: الوثيقة رقم ٢٣ سري للغاية، رقم الملف ٦٠/٤٤١ من القنصل البريطاني في تبريز إلى وزراء الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨٨١/١٠/١م وقد ترجم هذه الوثيقة الدكتور آزاد كرمياني، انظر مجلة آلاي إسلام، العدد ٢، ٣، السنة التاسعة، نوفمبر ١٩٩٥م، ماليزيا، ٥٦ – ٥٩.

٦٦ انظر:

Cevdet Ergul, Abdul Hamidin Dogu Politikasi ve Hamidiye Alaylari, Izmir, (1997-1417), p. 59-66.

وانظر: السلطان عبد الحميد، **مذكراتي السياسية** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) ٣٣. وانظر: Daid McDowall, A Modern History of the Kurds, p. 62، وانظر: الدكتور عثمان علي، "الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية"، **مجلة آلاي إسلام**، ماليزيا، العدد ٢، ٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٦م، ١٧.

٦٧ انظر: Cevdet Ergul, p. 67-77.

٦٨ السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ : ٣٣.

الغربي باسم الإصلاح وما سمي (بالتنظيمات) بعد ذلك، ومن طرف آخر كان الروس يعملون على إشاعة أن ما يتم من رفض الأكراد المسلح لبعض التنظيمات هو صراع قومي، وقد ذكرنا خطأ هذا الرأي سابقاً على لسان الشيخ عبد اللّه النهري. ولكن روج لهذه المقولة وصارت مفردة في الفكر القومي الكردي بعد ذلك ٦٩.

"كما أدت المؤسسات التبشيرية الإنجليزية و الأمريكية و الفرنسية دوراً ريادياً في إعداد جيل متغرب من أبناء الأقليات غير المسلمة ... و دوره في نشر الأفكار اللادينية بين العرب" ٧٠.

وامتد هذا النشاط إلى كردستان حيث "زار المنطقة في الفترة ما بين (١٨٣٠م - ١٩١٤م) حوالي (٤٣) باحثاً إنجليزياً، وفرنسياً، وروسياً، وقام الأمريكان بفتح (٤٥٠) مدرسة في منطقة هيكاري الكردية في تركية، ومنطقة ولاية الموصل في كردستان العراق لتربية جيل من الكرد والأشوريين على الأفكار الغربية" ٧١.

وثمرة لهذه الجهود الاستشراقية التنصيرية التي عززت بدراسات وكتب في مختلف مجالات الحياة في كردستان تبلورت الأفكار القومية في كردستان، ورافق ذلك ظهور بعض الرموز الكردية القومية والذين انتمى بعضهم إلى جمعية الاتحاد والترقي ٧٢.

ومن الذين استجابوا للتأثيرات الفكرية الغربية مقداد بدر خان الذي أصدر جريدة (كردستان) في القاهرة سنة (١٨٩٨م) وكانت تطبع في دارا لهلال الذي يديره (جورجي زيدان) وكان لها نشاط محموم في نشر الأفكار الغربية ودعوة الأكراد إلى تعلم العلوم الغربية في التأريخ والفن والأدب والعلوم الطبيعية، وروجت بين الكرد فكرة ضرورة دراسة تاريخهم والبحث عن هويتهم القومية قبل الإسلام، وكانت الجريدة مدعومة من الإنجليز مادياً وموضوعياً. ومن الغرائب أن الأرمن العدو اللدود للأكراد كانوا يقومون بتوزيع المجلة بين أكراد العراق وتركيا ٧٣.

---

٦٩ انظر: د. عثمان علي، نفس المرجع: ١٦ نقلاً عن: Wadi Jwaidda, The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967, p. 95؛ انظر د. عثمان علي، نفس المرجع والصفحة نقلاً عن خالقين ن. خه بات له رتى كوردستان، الترجمة الكردية من الروسية، ١٩٧١م، ونقلاً عن كمال مظهر، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، دكتور كامرس قفتان، جه ندلينه وه يه ك له ميزوى، بابان، سورات، بوتان، بغداد ١٩٨٢.

٧٠ انظر: د. عثمان علي، نفس المرجع السابق، نقلاً عن C.J. Edmond, The Kurdish, London, 1968,

٧١ انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق والصفحة، نقلاً عن:
Kamran Badr Khan, The Kurdish Problem, Royal Central Asian Studies, 36, 1949, p. 250.

٧٢ انظر: د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: ١٧، وانظر Wadi Jwaidda, p. 298.

٧٣ انظر: د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: ١٦ نقلاً عن Kamran Badr Khan, The Kurdish Problem, p. 250، وانظر: رامزور، تركيا الفتاة: ٩١.

ولقد تأخر ظهور الفكر القومي مع الأكراد بالمقارنة بين العرب والأتراك إلى ما بعد انقلاب القوميين الأتراك على السلطان عبد الحميد، وهذا يعود إلى طبيعة سياسة السلطان عبد الحميد تجاه الكرد طوال القرن التاسع عشر، لأن الأكراد كانوا الدرع الحديدي في مواجهة أطماع الروس للوصول إلى المياه الدافئة في الخليج وكانوا القبضة الفولاذية التي ضربت عملاء روسيا من الأرمن، وكان (للكتائب الحميدية الكردية) الدور الفعال في ذلك كله، ويضاف إلى ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يقوم بعمل فكري مواز لعمل الحركات القومية ولذلك قام بفتح كلية خاصة لأبناء الشيوخ لتدريس العلوم الإسلامية والعسكرية مما أكسب هذه السياسة رضا الشعب الكردي المسلم وقياداته القبلية والدينية والشباب المسلم المتعلم وكانت هذه ضمن سياسات الجامعة الإسلامية لمواجهة الغرب ٧٤.

وبعد أن زال الوهم الذي بنى عليه القوميون آمالهم بعد إسقاطهم للسلطان عبد الحميد فبدل أن يجدوا الحرية والديمقراطية التي تعاهد عليها قوميو الترك والعرب والأكراد والأرمن واليهود فإذا بهم أمام سراب فاجأهم به الأتراك الاتحاديون، وبدأت مرحلة الاضطهاد القومي فأغلقت الجمعيات والمنظمات الكردية، وزج بالقيادات القومية الكردية في السجون، فكان لهذا الفعل ردة فعل أدت إلى نمو الحركة القومية الكردية، حيث انتهى شهر العسل القومي مبكراً أي بعد خلع السلطان بسنة واحدة، وتلك لعنة القومية التي حلّت بأصحابها واتجه الأكراد إلى تشكيل الجمعيات السرية وبدل أن يدعُ قادة القومية إلى الرجوع إلى الإسلام تنادوا بالتخلي عن الإسلام والعودة إلى الجاهليّة الكرديّة التاريخيّة انتماءً وإلى الأوروبية شخصيّةً ودعوا إلى كتابة اللغة الكردية بالحروف اللاتينية.

وهكذا فعل الأتراك القوميون وتداعى بعض العرب لذلك ولم تنجح هذه الدعوى بين العرب والأكراد للأصالة الإسلامية الضاربة في أعماق الشعبين ٧٥.

---

٧٤ انظر د. عثمان علي، نفس المرجع السابق: ١٦، ١٧، نقلاً عن سيامند عثمان، ملاحظات تاريخية حول نشأة الفكر القومي، دراسات كردية، D.I.I، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م. وانظر: جليلي، **نهضة الأكراد الثقافية** (بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ٨٢.

٧٥ انظر: د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية: ١٧، ١٨-٢٠، نقلاً عن زنار سلوبي، **في سبيل كردستان** (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ٢٥، ٦٣، ١٤١، وكمال مظهر، مرجع سابق: ٩٨ - ١١٥، وكردة فعل للتيار القومي التركي أنشأ الأكراد جميعات مثل (كرد تعاون وترقي جمعيتي) و(كورد تشكيلات ومعارف جمعيتي) وشكلت منظمة طلابية سرية باسم (هيوا) أي الأمل، وتمايز من خلال هذه الجمعيات صفان الأول يقوده الشيخ عبد القادر الشمزيني نجل الشيخ عبد اللّه النهري ومنهم الشيخ سعيد النورسي الذي كان يرفض الأفكار العلمانية التغريبية لبعض الأكراد القوميين، والصف الثاني العلماني القومي الذي كان يقوده بدر خان أمين وعبد اللّه جودت وأنشأوا لهم جمعية جديدة اسمها (الرابطة الاجتماعية) بالاتفاق مع الأرمن!!، انظر د. عثمان علي، نفس المرجع: ١٩، وأصدرت صحف ومجلات مثل (روزي كورد) بمعنى نهار الكرد.

حقيقة الانتفاضات والثورات الكرديّة قبل خلع السلطان وبعده:

شهد القرن التاسع عشر ظهور عدة انتفاضات كردية قادتها شخصيات كردية معروفة منهم العلماء ومنهم شيوخ القبائل ومنهم العلمانيون المتغربون ٧٦.

ومن أشهر هذه الانتفاضات:

- انتفاضة ميركور الراوندوزي في كردستان العراق في (١٨٣٣م).
- انتفاضة الأمير بدر خان في كردستان العراق سنة (١٨٤٣م).
- انتفاضة الشيخ عبد اللّه النهري في كردستان تركيا عام (١٨٨٢م).
- انتفاضة ملا سعيد البرزنجي في السليمانية بكردستان العراق.
- انتفاضة ملا سليم في كردستان تركيا.
- انتفاضة إبراهيم ملني في كردستان سورية وتركيا.
- انتفاضة ضد عبد الرزاق بدرخان رئيس (الجمعية الكردية الثقافية) العلمانية التوجه في كردستان تركيا.
- ثورة قوج كري في كردستان تركية سنة (١٩٢٠م) للمطالبة بتطبيق معاهدة سيفر التي تنص على إقامة حكم ذاتي في تركيا.
- انتفاضة إسماعيل آغا (سمكو) في كردستان إيران (١٩٢١م).
- ثورة جمعية (خويبون) العلمانية التي ضمت الأكراد والأرمن ضد الحكم التركي الكمالي لتحرير كردستان سنة (١٩٣٠) وبتأييد من الدول الأوربية.

من خلال هذا التسلسل التاريخي نستطيع رصد طبيعة الثورات والانتفاضات التي وقعت في القرن التاسع عشر والعشرين، والتي حاول مؤرخو الحركة القومية الكردية والمستشرقون في دراساتهم للانتفاضات وبخاصة الروس منهم، تصويرها على أنها صراع قومي بين الأكراد والأتراك، وأما القوميون الأكراد فإنهم يصورونها بأنها من ثمرة تخطيط الحركة القومية العلمانية ٧٧.

---

٧٦ انظر د. عثمان علي، "الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٢، ٣، السنة التاسعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٥، ١٧، ٢٠، ٥٦.

٧٧ انظر نفس المرجع أعلاه: ١٥، وانظر د. عثمان علي، "إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٣، السنة ١١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م): ١٠.

ولكن تفصيل ذلك لا يميز إلا من خلال دراسة كل حركة أو انتفاضة على حدة حيث إن الوثائق التي ظهرت في السنين الأخيرة صححت كثيراً من التصورات، بل وكشفت كثيراً من تزييف التاريخ الإسلامي الكردي. ولعل في دراسات الدكتور (عثمان علي) قيمة تاريخية مهمة في كشف كثير من هذه الأحداث و إعادة تفسيرها[٧٨] تفسيراً موضوعياً قائماً على دراسات وثائقية وبمنهجية علمية محايدة لعلها تشجع باحثين آخرين يحذون حذوه لكشف الحقائق الناصعة ليتبين ضخامة الكيد الذي مزق جسم الأمة الإسلامية وليس الدولة العثمانية فحسب ولا زلنا نعاني منه في تاريخنا المعاصر.

وإذا دققنا النظر في طبيعة الانتفاضات التي أوردناها على سبيل التمثيل وليس على الحصر و لم نتوسع لأن ذلك خارج عن حدود موضوع البحث فنقول:

أولاً: إن انتفاضة ميركور الراوندوزي (١٨٨٣م) وانتفاضة الأمير بدر خان في كردستان العراق سنة (١٨٤٣م) كانتا قبل نشوء الحركة القومية الكردية، وإنما كانت عبارة عن احتكاكات عشائرية ضد إجراءات إدارية خاطئة كان يقوم بها بعض الولاة أو الجباة الرسميين. ويفسر لنا ذلك سياسة عبد الحميد التي استوعبت مطالب القبائل الكردية الذي وضع لهم نظاماً إدارياً خاصاً، فضلاً عن التنظيم العسكري (الكتائب الحميدية) [٧٩].

ثانياً: أما انتفاضة الشيخ عبد اللّه النهري (١٨٨٢م) فكانت زمن السلطان عبد الحميد وهي في الحقيقة التي كشفتها الوثائق لم تكن ضد دولة الخلافة و لم تعبر عن مكنون قومي شوفيني، وإنما كانت انتفاضة ضد العشائر الإيرانية التي كانت تعتدي على الأرض ونفى الشيخ النهري أن تكون ثورته لإقامة حكومة في كردستان يكون هو على رأسها [٨٠] بل قال: "بأنه ليس هناك من يشك في ولائه للسلطان" [٨١].

ثالثاً: وأما الانتفاضات الثلاث: ملا سعيد البرزنجي في العراق، وملا سليم في تركيا، وإبراهيم ملي في سوريا والانتفاضة الشعبية ضد رئيس الجمعية الكردية الثقافية العلماني

---

٧٨ انظر د. عثمان علي، حركة الشيخ سعيد ثورة شريعة أم دولة كردية، مرجع سابق: ١٠.

٧٩ انظر: دكتور عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، الحلقة الثانية: ١٥.

٨٠ انظر: دكتور عثمان علي، اللقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبيد اللّه النهري، وثيقة مترجمة من القنصل الإنجليزي في تبريز بإيران إلى وزارة الخارجية بلندن في ١٨٨١/١٠/١م رقم الوثيقة (٢٣) سري للغاية، وزارة الخارجية رقم الملف (٦٠/٤٤٢)، مجلة آلاي إسلام، العدد ٢، ٣، السنة ٩، ٥٦ – ٥٩.

٨١ انظر: نفس المصدر أعلاه: ٥٧.

وكلها تعبّر عن رفض للعلمانية وكلها كانت بعد خلع السلطان عبد الحميد ومجيء جمعية الاتحاد والترقي للحكم وهي تظهر الروح الإسلامية والولاء للسلطان عبد الحميد ٨٢.

رابعاً: وأما ثورة (قوجكيري ١٩٢٠م) في كردستان تركيا فكانت بعد تمكن الحركة الكمالية ومطالبتها بالحكم الذاتي للأكراد الذي ضمنته لهم معاهدة (سيفر) واستمرت هذه الثورة (١٩٢٣م) مما اضطر مصطفى كمال للاعتراف بالحكم الذاتي في مؤتمر صحفي في مدينة أزمير غير أنه لم يف بذلك وبقيت الوثيقة طي الكتمان حتى كشفتها مجلة (نحو عام ٢٠٠٠) في عددها (٤٢) الصادر بتاريخ ١٩٨٨/١١/٢٦م ٨٣.

خامساً: وأما انتفاضة إسماعيل آغا الملقب (بسمكو) في كردستان إيران سنة (١٩٢١م) فكانت ضد الحكومة الإيرانية ٨٤ "لأنها كانت تمارس الظلم والعدوان على الكرد" ويستطرد سمكو فيقول: "والآن أنا أبذل قصارى جهدي لتحريرهم من السيطرة الإيرانية" ٨٥ واستمر بعلاقاته الحسنة مع حكومة الاتحاديين لأن الحكم الحقيقي لهم والسلطان كان رمزاً لا أثر له. ولأن الاتحاديين كانوا يزودونه بالسلاح ضد الإيرانيين ومع ذلك فالأكراد كانوا يحترمون السلطان أكثر من الاتحاديين ٨٦.

سادساً: ثورة الشيخ سعيد بيران وهي من أهم الثورات لأنها جاءت في الوقت الذي قام كمال أتاتورك فيه بإلغاء الخلافة نهائياً في ١٩٢٤/٣/٤م، ثم إن الشائع عنها أنها ثورة قومية للحركة الكردية، ولكن الوثائق التي ظهرت في السنين الأخيرة أثبتت إسلاميتها وقيامها لأجل إعادة الخلافة وحكم الشريعة ٨٧.

---

٨٢ انظر: نفس المصدر أعلاه، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، حلقة ٢: ١٧، نقلاً عن وادي جويدة:
The Kurdish Nationalist Movement, Syracuse, 1967, Papulation: 95-7.

٨٣ انظر: دكتور إبراهيم الداقوقي، **أكراد الدولة العثمانية**، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية حول الحياة الإدارية وبروز القوميات، مراجعة وتقديم د. عبد الجليل التميمي (تونس: مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموروسيكية والتوثيق والمعلومات، زعفران، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م) ١٦٤، وانظر: د. عثمان علي، "حركة الشيخ سعيد ثورة شرعية أم دولة كردية"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٣، السنة ١١، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م: ١٢.

٨٤ انظر: د. عثمان علي، مصطفى باشا يا ملكي في لقاء تاريخي مع سمكو ، وثيقة، رسالة من مصطفى باشا إلى ابنه عبد العزيز بيك بتاريخ ١٩٢١/١٢/١٢م، ورقم الوثيقة: ٥٣٧١/٧٧٨١، مجلة آلاي إسلام، العدد ٢، السنة ١٠: ٤٤ــ٥١.

٨٥ انظر: نفس المرجع: ٤٥.

٨٦ انظر: نفس المرجع والصفحة.

٨٧ انظر: دكتور عثمان علي، "حركة الشيخ سعيد"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٣، السنة ١١: ١٠ - ١٣.

وتأتي أهمية هذه الحركة كذلك لاتصالها بالإمام الشيخ بديع الزمان النورسي، ورؤيته المخالفة للثورة وسبب الخطأ التاريخي في تقييم هويتها:

أن القوميين نسبوها إلى حركة (آزادي) و(جمعية تعالي وترقي كردستان) ونحا بعض المستشرقين إلى هذا التفسير كذلك. فضلاً عن ذلك فإن الحكومة التركية لغاية (١٩٧٧م) كانت تعتبر وثائق حركة الشيخ سعيد بيران وثائق سرية ولكن في الثمانينيات والتسعينيات ظهرت دراسات ووثائق جديدة ٨٨.

ولعل دراسة الدكتور (عثمان علي) تعدّ من الدراسات الجديدة في هذا الباب وقد كشف الاختلاط في وصف الحركة بارتباطها بحركة (آزادي) ٨٩.

وكشفت الوثائق أنه لا علاقة تنظيمية بين الشيخ سعيد بيران وحركة آزادي وإنما قائد حركة آزادي (خالد بيك جيواني) كان أحد قادة الألوية الحميدية وكان من دعاة الجامعة الإسلامية ومن أقرب المقربين إلى السلطان عبد الحميد، وكان عديلاً للشيخ سعيد بيران، ولكن عندما طُلِبَ الشيخ سعيد للمثول أمام المحكمة أثناء محاكمة خالد جيواني ورفاقه تبيّن أن النظام الكمالي سوف يقوم باتهامه ومحاكمته وأن مسألة اعتقاله أصبحت وشيكة، لذلك قرر المواجهة وإعلان الانتفاضة بعد أن عبأ لها شيوخ القبائل الكردية وأرسل برسائله ورسله إلى الشخصيات المسلمة الكردية المعروفة ٩٠.

وقد اضطر الشيخ للمواجهة المبكرة قبل الإعداد المطلوب وانتخب رئيساً (لآزادي) بعد اعتقال قادتها، وتم تحديد ١٩٢٥/٣/٢١م موعداً ليوم الانتفاضة ولكنها قدمت (١٥) يوماً قبل موعدها مما أدى إلى حصول بعض الأخطاء منها اعتقال بعض القادة من أعضاء آزادي السابقين ٩١.

---

٨٨ انظر: دكتور عثمان علي، "إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد بيران"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٤، السنة ١١: ٢٣ــ٢٧ ، وانظر: دكتور عثمان علي، حركة الشيخ سعيد، مصدر سابق: ١٠.

٨٩ انظر: آزاد كرمياني، "محاكمة الشيخ سعيد بيران، أمام محكمة الاستقلال"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٣، السنة ١١، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م، ١٤-١٧، ٢٧.

٩٠ انظر: دكتور عثمان علي، " الإشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد"، **مجلة آلاي إسلام**، العدد ٤، السنة ١١، ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨م، ٢٥.

٩١ المرجع نفسه : ٢٥.

وخاضت الطريقة النقشبندية بقيادة سعيد بيران الثورة ضد الحكم الكمالي، وكان خطاب الثورة خطاباً إسلامياً وقد نشرت وثيقة لجلسة سرية لمجلس أركان الحرب التركي أقرّ فيها دراسة الحركة من خلال الوثائق وشهادات الشهود بأن ثورة الشيخ سعيد كانت ثورة إسلامية تريد إعادة الخلافة والشريعة وعُمّم ذلك القرار المرقم (١٨٤٥) على جميع الإدارات الحكومية المعنية ٩٢.

وحاولت الحكومة تشويه الحركة ووصمها بأنها قومية من خلال محاكمة قادة الحركة القومية مع الشيخ سعيد ورفاقه، وكذلك لإثارة القوميين الأتراك وعزل الثورة عن المسلمين الترك. فضلاً عن اتهامها بالعلاقة بالجهات الأجنبية ويقصد بهم الإنجليز. ولكن رد الشيخ سعيد هو:

"يشهد اللّه أن الثورة لم تكن من صنع السياسيين الكرد - يعني القوميين- ولا من تدخل الأجانب" ٩٣.

وعندما سئل: هل تريد أن تصبح خليفة؟

أجاب: إن وجود الخليفة ضمانة أساسية لتطبيق قواعد الدين وإن المسألة مطلوبة شرعاً.

وسئل: هل كان إعلانكم للعصيان يعني أنكم وصلتم إلى قناعة تامة بأن الشريعة غير مطبقة في البلد؟

فأجاب: إن الكتاب - القرآن - يؤكد على الخروج على الحاكم في الظروف التي أشرنا إليها أعلاه، وتطبيق الشريعة يعني منع القتل والزنا والمسكرات ... الخ، وبحمد اللّه كلنا مسلمون ولا يجب التمييز بين الكرد والترك وحسب اعتقادنا أن هذه الأمور حالياً متروكة أننا انطلقنا من هذه القناعة وعلى أساس القرآن الكريم ٩٤.

---

٩٢ انظر: الدكتور أحمد النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، : ٧٨، وانظر: Andrew Mango, Turkey, Thames and Huom, 11d, London, 1968, p. 53.

وانظر: مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ألمانيا الغربية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، وقال: إن الشيخ سعيد بيران أعلن حركته باسم اللّه واتخذ له راية خضراء هي راية النبي صلى اللّه عليه وسلم كما حمل شعاراً لتحيا الخلافة ولتسقط الجمهورية وكان يتلقب بخادم المجاهدين. وانظر: الدكتور عثمان علي، الإشكالية في الانتفاضة: ٢٦.

٩٣ انظر: د. عثمان علي، الإشكالية في الانتفاضة: ٢٧.

٩٤ المرجع السابق: ٢٨.

بهذه الإجابات الشافية والقلب الثابت بيّن الشيخ سعيد أن ما قام به هو اجتهاد أدى إلى اتخاذ هذا الموقف ودواعيه إلغاء الخلافة وهي واجبة، وإيقاف العمل بالشريعة وهي واجبة أيضاً هذا اعتقاده، وهو ما تدل عليه المصادر الشرعية.

ولكن عملية تنفيذ التغيير، وهل كان ذلك مناسباً للظروف؟ ومكافئاً للقوى المحيطة؟ فهذا أمر آخر، وأما الذي أقر به الشيخ سعيد هو: "لم يكن في نيتي التمرد في البداية وإنني وقعت تحت وطأة ظروف غلبتني" ٩٥.

فرحم اللّه الشيخ سعيد ورحم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل اللّه غيرة وحمية لهذا الدين.

سابعاً: وأما النموذج الأخير فهو النموذج الذي صار محصلة القوى القومية الكردية التي رفعت راية الإصلاح يداً بيد مع القوميين الأتراك والقوميين العرب ومعهم بعض الواهمين ممن وقع تحت تأثير شعاراتهم في محاربة الاستبداد والمطالبة بالحرية والعدالة ٩٦.

فقد آل أمر القوميين الأكراد الذين أُشربوا العلمانية والأفكار الغربية وأصبحوا يروجون لنظرية التطور لداروين للمروق من الإسلام حتى قال أحد قادتهم وهو جليل جليلي: "إن الحروف العربية سبب تخلف الكرد لأنها أحد الأسباب الرئيسة لعزلة الشعب الكردي عن الحضارة الأوروبية وعلمها وعن الأفكار التقدمية" ٩٧.

بل أوحت فرنسا إلى الأرمن لاحتواء القوميين الأكراد لتأسيس جمعية قومية كردية تسعى لتحرير كردستان من الحكم التركي..!! وسميت الجمعية بـــ(خويبون) وكانت تخضع في تمويلها للأرمن والفرنسيين، وذلك لتتحول اليد التي كانت الدولة العثمانية تؤدب بها المستعمرين وأتباعهم الأرمن إلى يد تضرب الترك لتنتقم للأرمن من رفاق الطريق القوميين الأتراك والانسلاخ عن الإسلام بدل الرجوع إليه بعد بطلان فكرهم وفشل حركتهم..!!؟ ٩٨

---

٩٥ انظر: د. آزاد كرمياني، محاكمة الشيخ سعيد بيران، مرجع سابق، ١٤.

٩٦ انظر: د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، الحلقة الثانية: ٢٠.

٩٧ انظر المرجع نفسه: ١٨ نقلاً عن لمحة الأكراد الثقافية: ١١٩.

٩٨ انظر: المرجع نفسه السابق: ٢٠.

النورسي وثقافة العصر

الإمام النورسي جوهرة منشورية تنعكس فيها ألوان الطيف كلها في تناسق وانسجام وكذلك كانت حياته، فهو الطالب الذكي الوقاد الحافظة، ثم سعيد المشهور بعلمه في وسط أهله وذويه من أهل الأناضول، ثم نال لقب بديع الزمان بعد أن أضاف إلى علمه الأصيل علوم العصر بأنواعها فأخذ من كل فن قسطاً وأتقنه فصار مدركاً لمسار الثقافة في عصره ولا سيما وأنه قد درس العلوم المعاصرة من مصادرها الغربية في الرياضيات والفلسفة والجيولوجيا والجغرافية والتاريخ والفيزياء .. حتى صار أعجوبة زمانه ٩٩.

إدراكه للخطر الثقافي:

ومع شغفه العلمي لم يتحول هذا الشغف والحب إلى ترف فكري وشهوة ذاتية، وإنما كان علمه للعمل وكانت الفترة التي يعيشها فترة صراع فكري بين غرب فتي تقني يتطلع إلى قيادة البشرية بعد أن أخذها المسلمون من الدولة القيصرية والكسروية وقادوا العالم برسالة الإسلام.

ولكن القانون المستمر بين الحق والباطل ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ ١٠٠.

و قانون التدافع سنة كونية لضبط حركة الصراع ﴿وَ لَوْلاَ دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّه كَثِيراً﴾ ١٠١.

لذلك بدأ الغرب يخطط لأخذ قيادة البشرية مرة أخرى لتكون في يده. وكان الإمام النورسي حاضر القلب والذهن لهذه المخططات وقد زادها توقداً عندما قرأ تصريح وليم غلادستون (ت١٨٩٨م) ١٠٢ - وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت ورئيس الوزراء بعد ذلك - أمام مجلس النواب البريطاني وهو يحمل المصحف بيده فيقول:

"ما دام هذا القرآن موجوداً في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم فإما أن نأخذه من يد المسلمين أو نقطع صلتهم به" ١٠٣.

---

٩٩ د. أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، مرجع سابق: ٥٧.

١٠٠ سورة البقرة، رقم الآية ٢١٧.

١٠١ سورة الحج، رقم الآية ٤٠.

١٠٢ وليم إيوارت جلادستون (١٨٠٩ – ١٨٩٨م) سياسي بريطاني تولى رئاسة حزب الأحرار (١٨٦٨م) وصار رئيساً للوزارة فضلاً عن مناصب وزارية أخرى، الموسوعة الثقافية، ٢٥٢.

١٠٣ انظر: أورخان محمد علي، **سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة مشركة** (استانبول: التسل للطباعة، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) ٢٦، وانظر:

Par Maryam Jamilah, "Bediuzzaman Said Nursi, Le Sauveur de Islam en Turquie, p. 15.

فهم النورسي الرسالة والاستراتيجية الغربية على لسان رئيس وزراء بريطانيا العظمى..!! والتي حددت الطريق العسكري والثقافي سبيلاً للاستيلاء على بلاد المسلمين، وسارت السياسة الغربية في اتجاهيها نحو هيمنة عسكرية تسبقها هجمة ثقافية، وذلك بتسريب شتى الأفكار التي يمكن أن تفسد عقائد المسلمين وأفكارهم وتوجهاتهم للإصلاح.

ردّ التحدي:

وكان رد الفعل الموزون لدى النورسي قولته المشهورة: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".

وكانت منهجيته لمواجهة التحدي كالآتي:

أولاً - المواجهة بالرجوع إلى القرآن فهو القول الفصل:

فألّف كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، في بيان إعجاز القرآن الكريم، لأنه المعجزة التي تواجه الباطل في كل زمان ومكان بما يظهر من جمال إعجازه وقد حدد النورسي ذلك بقوله ١٠٤:

"لقد أحسّ سعيد القديم بفيض من القرآن أنه سيظهر في هذا الزمان المتأخر كفار لا يهتدون بكتاب ومنافقون من الأديان السابقة كما ظهروا في بداية الإسلام فاكتفى ببيان النكات الدقيقة من دون أن يخوض في حقيقة مسلكهم وبيان نقاط ارتكازهم تركها مجملة دون تفصيل" ١٠٥.

ثانياً - استيعاب معارف عصره:

ومن خلال دراسته لعلوم العصر والاطلاع على نظرياتها في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلوم البحتة الأخرى كالفيزياء والكيمياء والرياضيات وظّف هذه العلوم لمناقشة نظرية دارون في أصل الأنواع والتي أراد المتغربون أن يجعلوها سبباً لإنكار الخالق..!! فتصدى لهم وكذلك في النظريات الأخرى في السياسة والاجتماع١٠٦.

---

١٠٤ المرجع نفسه.

١٠٥ الإمام النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، تحقيق إحسان الصالحي (الرمادي ــ العراق: نشر دار الأنباء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م) ٢٣.

١٠٦ انظر: Sukran Vahide, Beduizzaman Said Nursi, Sozler Publications, Istanbul (1412H-1992), p. 33. وانظر: أورخان محمد علي، مرجع سابق: ٢٩ ــ ٣١، ٣٤، واستمر يحاول إنشاء الجامعة فاستجاب له السلطان وحيد الدين وتبرع له بمبلغ عشرين ألف ليره ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع، وعرض الأمر بعد ذلك سنة ١٩٢٢م على مجلس النواب فوافق وتبرع بمبلغ (١٥٠) ألف ليرة ولكن العلمانيين رفضوا ذلك مدعين عدم الحاجة إلى جامعة إسلامية..!! انظر: الدكتور علي القره داغي، **مقدمة رسالة الإنسان والإيمان للنورسي** (مصر: نشر دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) ٢٩.

ثالثاً - تفكيره في إنشاء جامعة إسلامية عصرية:

فكّر الإمام التورسي في إنشاء جامعة إسلامية تجمع بين علوم الشرع والعلوم العصرية للوقوف أمام الغزو الفكريّ، ولتخرج جيلاً جديداً من المثقفين الذين يستطيعون أن يحاوروا أبناء عصرهم ويواجهوا شبهات أعدائهم ويستنبطوا الأحكام المناسبة للحوادث المستجدة. وأن يخرج جيلاً من القادة الفكريين والعلماء المتنورين لقيادة الأمة.

وأن يكون مكانها في شرق الأناضول في كردستان على ضفاف بحيرة وان، وكان ذلك سنة ١٩٠٧ وعرض المشروع على السلطان عبد الحميد الثاني دون أن يلتقي به ولكنه أوصل إليه مقترحه بالنسبة للجامعة ومطالبه الأخرى الإصلاحية، ولكن يبدو أن السلطان أخطأ في فهم مطالبه أو وشى به أحد إلى السلطان فأصابه الضرر، ومع ذلك فإنه كان يكن الاحترام للسلطان عبد الحميد وكان يقول: "السلطان عبد الحميد خليفة لستين مليوناً من المسلمين وأنا أعده ولياً من أولياء اللّه" ١٠٧.

رابعاً - دعوته إلى إنشاء مدراس في جميع أنحاء تركيا:

تعلم العلوم الإسلامية والعصرية كما طالب بإصلاح طرق التدريس والمناهج. لإحساسه بأهمية ذلك في إعداد أجيال تستطيع الوقوف أمام التحدي الثقافي الذي تمارسه الإرساليات التبشيرية، وما تنشره الكتب والنشريات من الأفكار الهدّامة. وقد تنبه السلطان عبد الحميد لهذه الفكرة وقام بإنشاء المدارس في كل مكان في الدولة العثمانية وخارجها وكان ثمرة هذا الاقتراح إنشاء أول مدرسة في الصين بطلب من الداعية عبد الرشيد إبراهيم ١٠٨.

نخلص من هذا أن الإمام النورسي رأى أن الخطوة الأولى لمواجهة التحدي هي التسلح بالعلم الممدوح الذي يتضمن معارف العصر التي تدرس بضوابط الإسلام عقيدة وشريعة.

بديع الزمان النورسي ومواجهته للتيار القومي:

لقد أدرك الإمام النورسي من خلال الظواهر التي بدأت في الساحة التركية أن التوجه هو التركيز على الطورانية كما أسلفنا وادعاء أن الجنس والعنصر عندما يحكم

---

١٠٧ د. علي القره داغي :٢٩ .

١٠٨ المرجع السابق نفسه : ٣٠ .

نفسه بعيداً عن الأجناس الأخرى فإنه يستطيع أن يطور نفسه وبلده فلذلك نبه إلى هذه الآفة بقوله:

"وشأن العنصرية هو الاعتداء إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى" ١٠٩، وأنّ هذا أدى إلى حروب سببت مصائب للبشرية، وبيّن أن حضارة القرآن تجعل وحدة الدين والوطن الأساس، بدلاً من الرابطة العنصرية، ونتيجة لذلك تنمو الأخوة الإسلامية بين الناس، فلذلك كانت أهم رسائله (الأخوة).

وعلى ضوء الاستعراض الذي أوردناه في المباحث الثلاثة السابقة المتعلقة بالاتجاهات القومية الثلاثة الكبرى (الأتراك - العرب - الأكراد) يتبين لنا مدى تعقيد المشكلة التي دفعت إليها هذه القوميات الإسلامية بحيث اتحدت لتحطم كيان الخلافة وتفرقت شر ممزق عندما أرادت أن تطبق برامجها فصارت لقمة سائغة للمخططات الأوروبية تلعب بها كأحجار رقعة الشطرنج.

فلذلك أدرك كثير من المصلحين أن العلاج الناجع يبدأ ببناء الفرد مرة أخرى ولا تنفع المواجهة المجردة وقد حدد شكيب أرسلان ذلك بقوله: "تأتيني كتب كثيرة من الغرب، وجاوا، ومصر، وسورية، والعراق ونفس فلسطين مقترحاً أصحابها عقد مؤتمر إسلامي أو ... ويكون جوابي دائماً: يجب أن نؤسس من تحت، يجب أن نربي الفرد" ١١٠.

ولذلك وجد بديع الزمان النورسي ضرورة اقتحام الميدان بعد عزلته في بداية مرحلة سعيد الجديد ثم يعطي تفصيلاً يوضح فيه مفهوم القومية في ميزان الإسلام، لكي يسهل معالجة هذه العنصرية في النفوس ولا تخرج إلى مغالاة.

فيوضح أن الحس القومي "ذوق في النفس، ولذة تغفل، وغفوة مشؤومة" بمعنى آخر أنه إحساس فطري، فلذلك فلا يقال لأهل القومية دعوا القومية، وإنما اضبطوها بضوابط الشرع.

والأستاذ النورسي قد قسم القومية إلى قسمين:

---

١٠٩ د. حسين جليك، **بديع الزمان سعيد النورسي وفكره، الاتحاد الإسلامي**، مجموعة بحوث المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي (استانبول، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ٤٥١، وانظر: أحمد النعيمي، المصدر السابق: ٨١.

١١٠ انظر: إحسان الصالحي، بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، استانبول، Sozler Nesriyat، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٥٢.

١ - القومية السلبية: فقال عنها: "وهو قسم سلبي مشؤوم مضر يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه ويتصرف بحذر وهذا يولد المخاصمة والتراع، ولهذا ورد في الحديث الشريف «أن الإسلام يجب ما قبله» ويرفض العصبية الجاهلية، وأمر القرآن الكريم بـــ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٦) فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية. لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها" ١١١.

وقد عدد الأستاذ النورسي بعضاً مما سماه بأضرار القومية السلبية في العالم الإسلامي وأوروبا.

٢ - القومية الإيجابية: والتي وصفها بأنها "النابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية ... هذا الفكر القومي الإيجابي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له وسوراً منيعاً، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة ... ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية ..." ١١٢.

وبالإضافة إلى محاولته أن يبين سلبيات الأولى وإيجابيات الثانية والتي لا تتنافى وعقيدتنا الإسلامية، فإنه فرّق بين المدنية الحاضرة والمدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية في خمس خصائص لكل منهما فقال عن جهة الوحدة في الأولى: "الرابطة الدينية والوطنية والصنفية بدلاً من العنصرية والقومية وهذه الرابطة من شأنها الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي".

ووصف رابطة المدنية الحاضرة الثانية بين الكتل البشرية بأنها: "العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع وشأنها التصادم الرهيب" ١١٣.

---

١١١ المكتوبات: ٤١٤.

١١٢ المكتوبات: ٤١٥ ــ ٤١٦.

١١٣ المكتوبات: ٦٠٧.

بل إنه اعتبر من يعمل باسم "الأمة وفي سبيل القومية لأجل تقوية العنصرية" من "أهل البدع الهدامين" في إشاراته حول الآية الكريمة: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ١١٤.

وطُرِح تساؤل عليه حول من أقوى وأولى بالالتزام؟ الحمية الدينية أم الملية القومية؟ فقال لمن سأله وكان ممن تعلم العلوم الحديثة:

"نحن معاشر المسلمين، الدين والملية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي ظاهري عرضي، بل الدين هو حياة الملية وروحها فإذا ما نظر إليهما بأنهما مختلفان ومتباينان فإن الحمية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحمية الملية تنحصر في واحد بالمائة من الناس ممن يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة، وعليه فلا بُدَّ أن تكون الحمية الدينية أساساً في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وسائدة حصينة لها ... فنحن الشرقيين لا نشبه الغربيين، إذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني، فإن بعث الأنبياء في الشرق يشير به القدر الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى الرقي والتقدم ..." ١١٥.

وهكذا لم يستطع الإمام النورسي أن يقف مكتوف الأيدي فخرج من شخصيته (سعيد الجديد) المعتزل المتأمل إلى شخصية (سعيد القديم) أي الناصح الناقد للأمور السياسية والاجتماعية ليكتب بحثاً مفصلاً عن القومية، فقال: "اضطررت إلى كتابة هذا المبحث بنية خدمة القرآن العظيم وعلى أمل إنشاء سد أمام الهجمات الظالمة"١١٦.

الإمام النورسي في مواجهة تحديات الاتحاديين:

جاءت جمعية الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم بانقلاب سلمي سنة (١٩٠٨م) وهو ما سمي بالمشروطية، وكان النورسي في مدينة سلانيك في هذا الوقت والتقى ببعض قادة الاتحاد والترقي ومنهم (قره صو) اليهودي الماسوني المشهور وحاول (قره صو) ضم النورسي إلى جمعية الاتحاد والترقي ولكنه فشل في ذلك بل قال: "كاد أن يجعلني مسلماً..!!" ١١٧.

---

١١٤ المكتوبات: ٥٦٦.

١١٥ بديع الزمان سعيد النورسي، **الخطبة الشامية**، ترجمة و تحقيق إحسان قاسم الصالحي (استانبول: سوزلر ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م) ٧٧.

١١٦ المكتوبات: ٤١٣ – ٤١٤.

١١٧ أورخان محمد علي: مرجع سابق: ٣٨.

وعندما أعلن الدستور (المشروطية) وقف النورسي خطيباً في سلانيك يؤيد ذلك لإيمانه بالحرية والشورى ١١٨.

وبدأت ظواهر الفساد تدب وتبرز إلى السطح بعد أن خدعت كثيراً من المفكرين بكلام معسول عن الاستبداد والحرية والمساواة والإخاء..!! وبدأ سيل الصحف يمارس دوراً جديداً للترويج للعلمانية والأفكار الغربية وتجاوز الأمر إلى ظهور المقالات والكتب الإلحادية، لأن الميدان قد خلا بعد السلطان عبد الحميد للمفتونين بالحضارة الغربية ومن الصحف التي شاعت (الفلسفة) (الذكاء) (البيانو) ١١٩.

ولذلك بادر النورسي إلى الانضمام إلى جمعية (الاتحاد المحمدي) التي أسسها بعض أهل الغيرة من وجوه المجتمع لمواجهة الأفكار الجديدة التي بدأت تدندن حول القومية التركية وتجعلها المنطلق وتروج للطورانية ١٢٠ كما بينا في المبحث الخاص بالقومية التركية.

وحضر الإمام النورسي اجتماع الافتتاح وألقى خطبة حث فيها على التمسك بالإسلام وتكلم بالقضايا المهمة ١٢١، "وفي هذه الصفحة يبدأ كفاح بديع الزمان في خط الاتحاد الإسلامي" ١٢٢.

وقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي أن تغريه لقبول عضويتها وكان مصطفى كمال أتاتورك هو الذي دعاه لذلك ولكنه أجاب بقوله: "إنني أريد أن أجاهد في أخطر الأمكنة وليس من وراء الخنادق وأنا أرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول".

وأول احتكاك مع الانقلابيين كان عند وصوله إلى مجلس النواب سنة (١٩٢٢م) فوجد أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة فصرخ صرخته:

"يا أيها المبعوثون إنكم مبعوثون ليوم عظيم" وغضب مصطفى كمال لذلك فقال: إننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة،

---

١١٨ المرجع نفسه: ٣٧.

١١٩ المرجع نفسه: ٣٨.

١٢٠ المرجع نفسه: ٤٠.

١٢١ المرجع السابق نفسه.

١٢٢ د. حسين جليك، مرجع سابق: ٥٣٨.

ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهدكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس..!!

فأجابه بديع الزمان مشيراً إليه بإصبعه في حدة:

"باشا .. باشا .. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود" ١٢٣.

وابتدأت بعد ذلك التعويقات والسجون والمحاكمات، وذلك مما ألجأه إلى أن يختط منهجية في الدعوة أسماها بمرحلة (سعيد الجديد) وكانت هذه سنة (١٩٢٦م) حيث أدرك أن أي مواجهة لا تنفع وأن قضاء اللّه واقع والعاصفة قوية والتحدي هو تحدّ حضاري لحضارة فتية علمانية المنهج متنوعة الوسائل متحدة القوى اتبعت خططاً متنوعة للإجهاز على الدولة العثمانية حتى أرهقتها على الرغم من محاولات السلطان عبد الحميد الوقوف في وجه هذه الحضارة الغازية ولكن الداء قد بلغ منتهاه فالعلمانيون روجوا لأفكارهم ليل نهار وتمدهم قوى الكفر كلها بالمال والأفكار والرجال.

فالحكمة إذاً أن يبدأ من أول خطوة وهي إصلاح الفرد فبدأ بالخلوة مع نفسه للتفكر للوصول إلى الخطة الأوثق والاجتهاد الذي يناسب المرحلة، ووجه الأستاذ النورسي جهده إلى الدعوة إلى الأخوة ونبذ الفرقة فوجه خطابه إلى جميع القوميات.

خطابه إلى القوميين الأتراك:

وجّه خطابه للقوميين الأتراك محذراً من الانحراف في الفهم الذي يؤدي إلى النظر إلى القوميات الأخرى نظر العدو للعدو لا نظر الأخ المسلم لأخيه المسلم.

فيقول: "يا أبناء الوطن من أهل القرآن" فهو يفجر فيهم حقيقة الانتماء ويحذرهم دسائس الشيطان فيقول:

إن بعض الملحدين الذين يشغلون مناصب مهمة يشنون هجوماً ... إذ يقولون أنتم أتراك وفي الأتراك أصناف العلماء .. وإنما سعيد هذا كردي فالتعاون مع من ليس من قوميتكم ينافي القومية" ١٢٤.

---

١٢٣ إحسان الصالحي، مرجع سابق: ٥٢ – ٥٣.

١٢٤ د. حسين جليك، مرجع سابق: ٥٤٤.

وحث على الأخوة الكردية التركية بقوله: "الأتراك هم عقلنا ونحن قوتهم" وأن الحياة الاجتماعية للأكراد مرتبطة بحياة وسعادة الأتراك ١٢٥.

وقوله: "يا أيها الأخ التركي احذر وانتبه!! أنت بالذات فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذاً وانتهى أمرك ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجلت في سجل الإسلام وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى من الوجود قطعاً فلا تمحها أنت من قلبك!؟"١٢٦.

وينقل حسه ككردي بكل إخلاص ليزيل ركام القومية عن قلب أخيه التركي فيقول: "قلت لأحد طلابي الأكراد الغيورين: لقد خدم الأتراك الإسلام كثيراً، فكيف تراهم؟ قال: إني أفضل تركياً مسلماً على شقيقي الفاسق".

وعندما سألته بعد سنين حين درس في استانبول ولمس العنصرية التركية وسأل السؤال نفسه فقال: إنني أفضل الآن كردياً فاسقاً ... على تركي صالح..!!

ولذلك كان الأستاذ النورسي يكرر كلامه في نصح الأتراك لأنهم أهل الشوكة ولا زالت الدولة العثمانية تحت إدارتهم مع وجود السلطان وإن كان بصورة رمزية ويحذرهم من الملحدين الذين يتحركون باسم القومية من اليهود والماسون فيقول: "أقول لأولئك الملحدين .. المتسترين تحت ستار التركية وهم في الحقيقة أعداء الأمة التركية أقول لهم: إنني على علاقة وثيقة جداً بمؤمني هذا الوطن الذين يسمون بالأتراك المرتبطين ارتباطاً قوياً، وبأخوة صادقة أبدية حقيقية باسم الإسلام لأبناء هذا الوطن الذين رفعوا راية القرآن خفاقة عزيزة في ربوع العالم أجمع زهاء ألف عام، أما أنت أيها المخادع المدعي فليس لك إلا أخوة مجازية غير حقيقية ومؤقتة مبنية على العنصرية والأغراض الشخصية" ١٢٧.

وقد تخلى الأستاذ النورسي عن لقبه (الكردي) الذي كان يستخدمه كي لا يؤدي ذلك إلى الاستغلال العنصري فترك لقب (كردي) واتخذ لقب (نورسي) نسبة إلى قريته ومسقط رأسه.

---

١٢٥ المرجع نفسه: ٤٤٣.

١٢٦ المكتوبات: ٤١٧.

١٢٧ د. حسين جليك، مرجع سابق: ٥٤٥.

ولذلك عندما جاءه مندوب الشيخ سعيد بيران يدعوه للمشاركة في الثورة ضد سياسة مصطفى كمال أتاتورك العنصرية ولإعادة الخلافة قال له الأستاذ النورسي في حواره:

قال الأستاذ النورسي: ومن ستحارب؟

حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

سعيد النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟

حسين باشا: إنهم جنود!

سعيد النورسي: إن جنوده أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائي فمن نقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكر .. وافهم. إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه.

هكذا يخاطب سعيد النورسي الكردي حسين باشا الكردي عن الأتراك، فأي صفاء هذا ١٢٨.

ثم كان يحاول أن يخرج بهم إلى الأخوة العالمية الفسيحة بقوله "أيها النواب السائلون: إن في الشرق حوالي خمسة ملايين من الأكراد وحوالي مائة مليون من الإيرانيين والهنود وسبعين مليوناً من العرب وأربعين مليوناً من القفقاس فهؤلاء جميعاً تربطهم الأخوة وحسن الجوار وحاجة بعضهم إلى بعض" ١٢٩.

وينحو منحى الموضوعية والنقاش العلمي في عرض قضية القومية، فيقول:

"لا يقاس الدين الإسلامي بالنصرانية إذ أن تقليد الأوروبيين في إهمالهم دينهم تقليداً أعمى خطأ جسيم، لأن الأوروبيين متمسكون بدينهم أولاً، والشاهد على هذا في المقدمة (ولسن توماس) - رئيس الولايات المتحدة - (ولويد جورج) - سياسي بريطاني كان وزيراً للخارجية - ١٣٠ وغيرهم.

إنه عندما كانت أوروبا متمسكة بدينها لم تكن متحضرة وعندما تركت التزام دينها تحضرت!!!

وعانت أوروبا من استغلال الحكام المستبدين بالدين وسيلة لسحق العوام والفقراء.

---

١٢٨ إحسان الصالحي، مرجع سابق: ٥٧١، وأورخان محمد علي، مرجع سابق: ٧٩ – ٨١.

١٢٩ د. حسين جليك، مرجع سابق: ٥٤٣.

١٣٠ المكتوبات: ٤١٨.

أما في الإسلام فلم يصبح الدين سبباً للنزاع الداخلي إلا مرة واحدة، وقد ترقى المسلمين - بالنسبة لذلك الوقت - رقياً عظيماً ما ملكوا الدين واعتصموا به.

ثم إن الإسلام حامي الفقراء والعوام من الناس.

وإن الإسلام يحمي أهل العلم ويستشهد العقل والعلم ويوقظهما في النفوس.

إن أساس الإسلام التوحيد الخالص فلا وسائط. أما في النصرانية فإن فكرة البنوة تعطي أهمية للوسائط" ١٣١ .

خطاب الشيخ النورسي للأكراد:

وكان الشيخ بديع الزمان النورسي الكردي يحس بمشاعر قومه وحاجتهم إلى العناية من ناحية التعليم والثقافة فلذلك قدم مطالبه للسلطان لتطوير شرق الأناضول.

فضلاً عن تقديمه النصح لقومه وكان يرى ابتداءً أن الحركة القومية عامة من صنع الأوروبيين واليهود، فكان الأستاذ النورسي حازماً في هذا الأمر لا يساوم فيه حتى مع الأكراد، وردّ على أحد المشايخ اسمه عمر أفندي حول الحركة الكردية بقوله: "إن مثل هذه الحركة وهذا التصرف مخالف للشريعة، وأغلب الظن أن مصدرها ومثيرها الأصابع الخارجية لا يمكن جعل المطالبة بالشريعة آلة وذريعة لمخالفة الشريعة نفسها"١٣٢.

وقال لمجموعة من الشيوخ الأكراد من مدينة وان: "هل جئتم بأفكار سلبية مرة أخرى؟ إن الأمة التركية تزعمت الإسلام على أحسن ما يرام وتتزعم هذه الأمة الإسلام بعد الآن فتخلوا عن تلك الحركات السيئة" ١٣٣.

ثم وصلت رسالة من الشيخ سعيد بيران نفسه يدعوه للاشتراك في الثورة فرد عليه في رسالة بقوله:"نحن مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً، إن السيف لا يشهر إلا بوجه الأعداء الخارجين فلا يستعمل السيف في الداخل، إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص - فبين له منهجه في التغيير - في هذا الزمان هو القيام بإرشاد

---

١٣١ المكتوبات: ٤١٩.

١٣٢ أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ٨٠.

١٣٣ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا، لذا أرى أن تصرفوا النظر عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق إذ سيهلك ١٣٤ الآلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة والمجرمين ..." ويقصد بهم الاتحاديين.

وكانت هذه نظريته في التغيير كما ذكرنا سابقاً، ولم ينج الأستاذ بديع الزمان مع نصحه لسعيد بيران من المساءلة واستغل الكماليون ذلك وأودعوه السجن بسبب الرسائل المتبادلة بين الشيخين ومع أنه كان ناصحاً للشيخ سعيد بأن لا يستخدم السلاح.

وحاول أهل مدينة (وان) حمايته ولكن رفض ذلك وقال: "إنني أذهب بكامل رغبتي إلى الأحضان الرحيمة للأمة التركية في الأناضول .. أتمنى لكم السلامة والعافية" ١٣٥.

هكذا كان يربي طلابه ويوجه الأكراد ويحاول أن ينتشل جرثومة القومية التي سرت في نفوس الأتراك .

ولكن القوميين قد ألّحوا وركبوا سبيل الشيطان كما ذكرنا إذ اتفقوا مع الأرمن ضد الأتراك وكل ذلك بسبب عوج الفهم والخلل في الولاء لهذا الدين.

خطاب الإمام النورسي للعرب:

وقد كان للعرب حظ ومكان في قلب الأستاذ النورسي ١٣٦ وأرضهم مهد الإسلام، ومنها انطلق نوره إلى بقاع الأرض، لذلك قام برحلة خاصة إلى بلاد الشام في شتاء (١٣٢٧هـ - ١٩١١م)، أحد أبرز منابع القومية العربية، وألقى خطبة باللغة العربية في (الجامع الأموي) في دمشق تحت إلحاح العلماء وإصرارهم واستمع إلى الخطبة جمع غفير من الناس فيهم مئات من العلماء.

وقد قال موجهاً كلامه للعرب:

"فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي إنني ما

---

١٣٤ أورخان محمد علي، مرجع سابق: ١١٤.

١٣٥ أورخان محمد علي، مرجع سابق: ١٢٠.

١٣٦ النورسي، الخطبة الشامية: ٢٩.

صعدت هذا المنبر ... لأرشدكم فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام" ١٣٧.

"وإنما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى اللّه والرضا بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدل الرهبة والهلع لها" ١٣٨.

وقال مذكراً إخوانه العرب بمسؤولياتهم وواجباتهم تجاه إخوانهم الترك والقوميات الأخرى، قائلاً لهم:

"لا يذهب بكم الظن أنني صعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم بل ما صعدته إلا لأذكر حقنا عليكم وأطالبكم به إذ أن مصالح الطوائف الصغيرة١٣٩ وسعادتها الدنيوية والأخروية ترتبط بأمثالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة والحكام والأساتذة من العرب والترك فإن تكاسلتم وتخاذلتم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيما ضرر"١٤٠.

"إنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظماء الأماجد ويا من أخذتم من التيقظ حظاً أو ستستيقظون تيقظاً في المستقبل لأنكم أساتذتنا وأساتذة جميع الطوائف الإسلامية وأئمتها"١٤١.

"يا إخواني الذين يضمهم هذا الجامع الأموي ويا إخواني في جوامع العالم الإسلامي! اعتبروا أنتم أيضاً وقيموا الأمور في ضوء الأحداث الجسام التي مرت خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية، كونوا راشدين يا من يعدّون أنفسهم من أولي الفكر والعلم"١٤٢.

وفي ظل ما كان يعانيه العالم الإسلامي من صراعات بما فيهم من الشعوب العربية

---

١٣٧ المصدر السابق: ٣٢.

١٣٨ المصدر السابق: ٨٢.

١٣٩ الطوائف الصغيرة: القوميات الصغيرة.

١٤٠ النورسي، الخطبة الشامية: ٦٩.

١٤١ المصدر السابق نفسه.

١٤٢ المصدر السابق : ٣٨.

والتركية انتبه الإمام النورسي إلى خطورة اليأس الذي سرى في نفوس من عايشوا سياسة الاتحاديين في بلاد الشام، وتدهور الأوضاع في العالم الإسلامي بشكل عام فقال لم يعد للأمل محلٌ في قلبه: "إن اليأس داء قاتل وقد دب في صميم قلب العالم الإسلامي، فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى كالأموات حتى تمكنت دول غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها"١٤٣. "إن اليأس داء عضال يصيب الأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع عن بلوغ الكمالات".

ثم يدعوهم لمحاربة هذا الداء والقضاء عليه فليس هو من صفاتهم وخصائصهم الحميدة التي اتصفوا بها: "وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية قط، وليس هو من شأن العرب الممتازين بسجايا حميدة هي مفخرة البشرية، فلقد تعلم العالم الإسلامي من ثبات العرب وصمودهم الدروس والعبر".

ثم يضع أمل الشعوب الإسلامية في اتحاد العرب والترك من أجل رفع راية الإسلام فيذكرهم: "وأملنا باللّه عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم إن شاء اللّه".

وبعد أن نقل شهادات الفلاسفة والمفكرين والسياسيين الغربيين بعظمة هذا الدين وعظمة رسوله ﷺ والقرآن العظيم باعتبار (الفضل بما شهدت به الأعداء) قال: "أقول وبكل اطمئنان واقتناع إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام وستلدن يوماً ما دولة إسلامية كما حَبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوروبية" ١٤٤.

"أيها الأخوة في الجامع الأموي: إن الإسلام وحده سيكون حاكماً قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وإن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية

---

١٤٣ المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

١٤٤ المصدر السابق، : ٤٥.

والأخروية" ١٤٥.

وكان قد استشرف منذ وقت مبكر بدايات ظهور الصحوة الإسلامية بعد ظهور النزعات القومية والانفصالية وغيرها في الدولة العثمانية ، فوجه خطابه إلى العرب وأعلن بيقين أن المستقبل سيكون للإسلام ولن يكون لغيره من دعاة الفكر القومي والعلماني قائلاً:

"يسرني أن أزفّ إليكم البشرى يا معشر المسلمين بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية ، وبخاصة سعادة العثمانيين ، ولا سيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورقيّه على تيقظهم وانتباههم" ١٤٦.

"فإنني أعلن بقوة وحزم بحيث أسمع الدنيا كلها نافياً اليأس والقنوط مؤكداً أن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان، لذا فعلينا الرضا بالقدر الإلهي وبما قسمه الله، إذ لنا مستقبل زاهر وللأجانب ماض مشوش مختلط" ١٤٧.

ثم ينبه العرب بقوله : "وها قد أخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الإسلام تتزاح وتنقشع ، وأخذت تلك المواضع بالانكماش والانسحاب، ولقد بدأت تباشير ذلك الفجر منذ خمس وأربعين سنة" ١٤٨.

"وها قد بزغ فجرها الصادق سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية أو هو على وشك البزوغ وحتى إن كان هذا الفجر فجراً كاذباً فسيطلع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين عاماً إن شاء اللّه" ١٤٩

---

١٤٥ المصدر السابق نفسه.

١٤٦ المصدر السابق : ٣١ – ٣٢.

١٤٧ المصدر السابق: ٣٢.

١٤٨ المصدر السابق : ٣٢.

١٤٩ المصدر السابق نفسه.

الخاتمة وحصاد البحث

تبين من خلال البحث أن الدولة العثمانية كانت تواجه تحدياً خارجياً وداخلياً في أواخر القرن التاسع عشر، خارجي يتمثل في المخططات الأوروبية التي كانت في أوج فتوتها تحاول إسقاط الخلافة العثمانية، ومن ثمّ تقسيم تركتها، وأعدّت لذلك عشرات المخططات حتى بلغت مائة مخطط ومن خلال هذه المخططات تسللت إلى مجتمع الدولة العثمانية، وتوسلت بجميع الوسائل التي تكفّلت لها بتفتيت كيان هذه الدولة العظيمة التي تحكم قلب العالم فضلاً عن ترامي أطرافها.

ورأى مخططو الدول الأوروبية أن أفضل طريقة للتفتيت هي إثارة النعرات القومية، وإشاعة الأفكار العلمانيّة التي تعمل على إضعاف الوازع الإسلامي، بل التشكيك في عقائده ونظمه، ليكون بالإمكان إحلال الأفكار الجديدة محل المفاهيم الإسلامية.

ودخلت لتنفيذ مخططها هذا مدخلاً في ظاهره الرحمة وفي باطنه من قِبَلِه العذاب، فبدأت ترفع شعارات الإصلاح ومحاربة الاستبداد، وتطالب بالتحديث والمناداة بالدستور..!!

وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٩م) ومجيء الاتحاد والترقي بدأت الدعوة إلى القومية تطفو على السطح وكذلك اشتد نشاط النصارى في الشام وغيرها، ونشط الشريف حسين في بمكة في المناداة بالقوميّة والثورة العربيّة.

وقد رصد البحث هذه الظاهرة وأسبابها الخارجيّة والداخليّة، وتجلية دور الإمام النورسي في فهم هذه الظاهرة وموقفه منها.

ومن أهم نتائج البحث:

١ - بيان دور الدول الأوروبية في إشاعة الثقافة العلمانية وتشجيع الدعوة إلى القومية.

٢ - دور اليهود والماسونيين في إثارة جرثومة القومية السلبية كما يسميها الأستاذ النورسي.

٣ - دور أهل الغيرة في مواجهة التحدي القومي بتحدٍ مخالف مبني على الأصالة الإسلامية.

٤ - الكشف عن منهجية الإمام بديع الزمان النورسي في مواجهة الانحراف عن الإسلام بالمنهج القرآني وتفنيد الدعوة القومية والتأكيد على الأخوة الإسلامية.

ولعل البحث بهذا العرض قد بيّن بداية ظهور القوميات ومواجهة الإمام النورسي لذلك بأصالة واجتهاد مكافئ للواقع المحيط به.